"رؤى من الفقه الإسلامي"(1)

قيم السعادة والفرح

سماحة الشيخ فيصل العوامي

إهداء :

إلى من أكنّ له كل التقدير والاحترام..
واعترف له بالفضل لما له من دور كبير
في رعاية مسيرتي العلمية منذ بدايتها..
سماحة الأستاذ العلامة الشيخ ماجد
الماجد "حفظه الله تعالى".

مقدمة:
في عدة مناسبات كانت تتناهى إلى مسامعي عبارة لم يرقني سماعها، لما أجد فيها من
عدم الدقة والإنصاف .. وذلك حين كان ُيوصف المتدينون بأعداء الفرح، لمجرد أنهم
يلتزمون ببعض الأحكام الشرعية التي قد تضع حدّاً للرغبة في التسيّب عند الإنسان
.
وحينها كان ينتابني شعور بأن من يطلق هذه العبارة لم يكتشف حقيقة السعادة التي
بشّر بها الدين .
لذلك رأيتُ أن يكون من جملة إصدارات هذه السلسلة ، دراسة تسلّط الضوء على موقف
الدين من السعادة.
ورجائي أن يتقبّل الله سبحانه وتعالى ذلك منّي .. وصلى الله على نبينا محمد

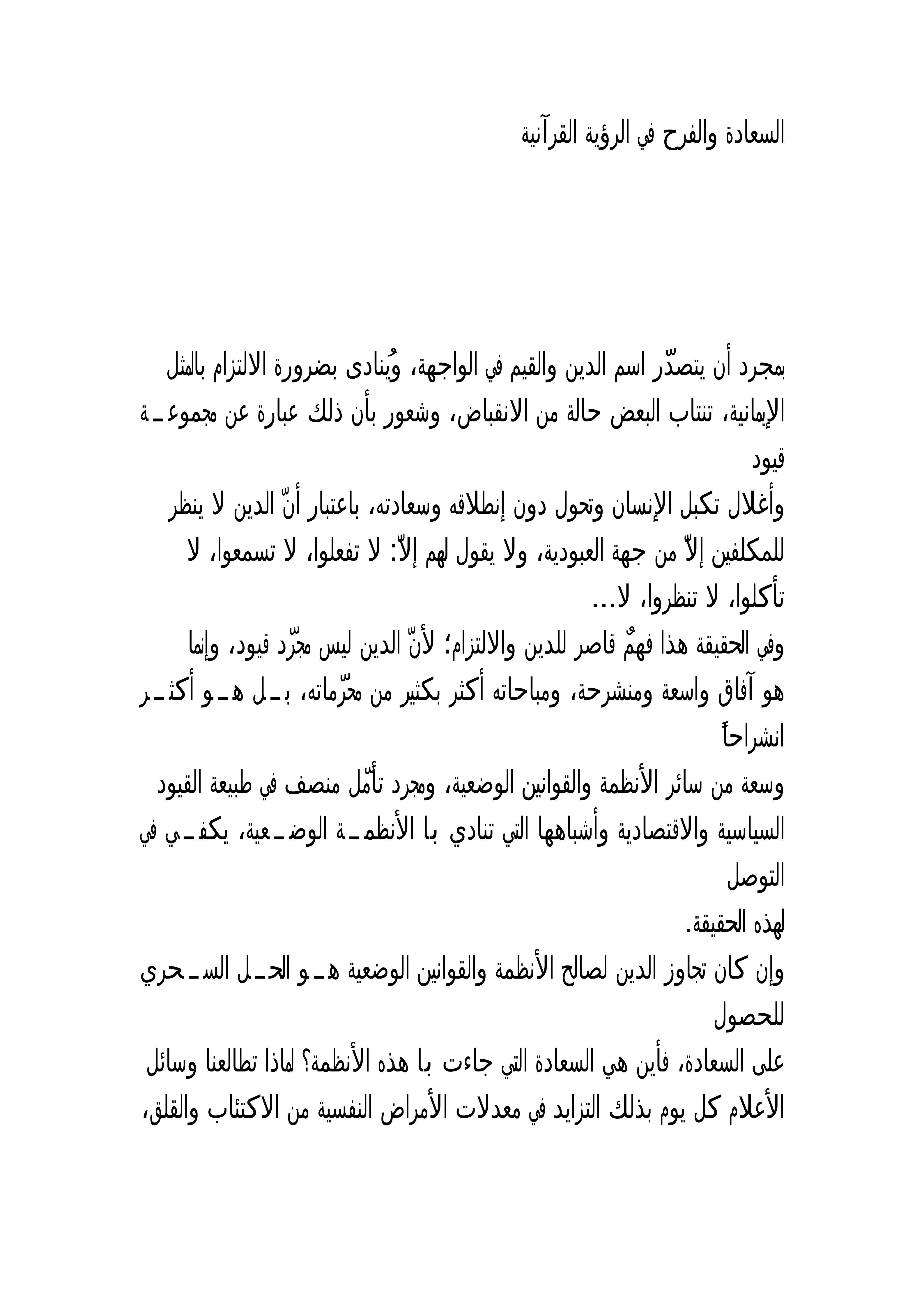
وآله الطاهرين.

7 ذي القعدة 1423 هـ

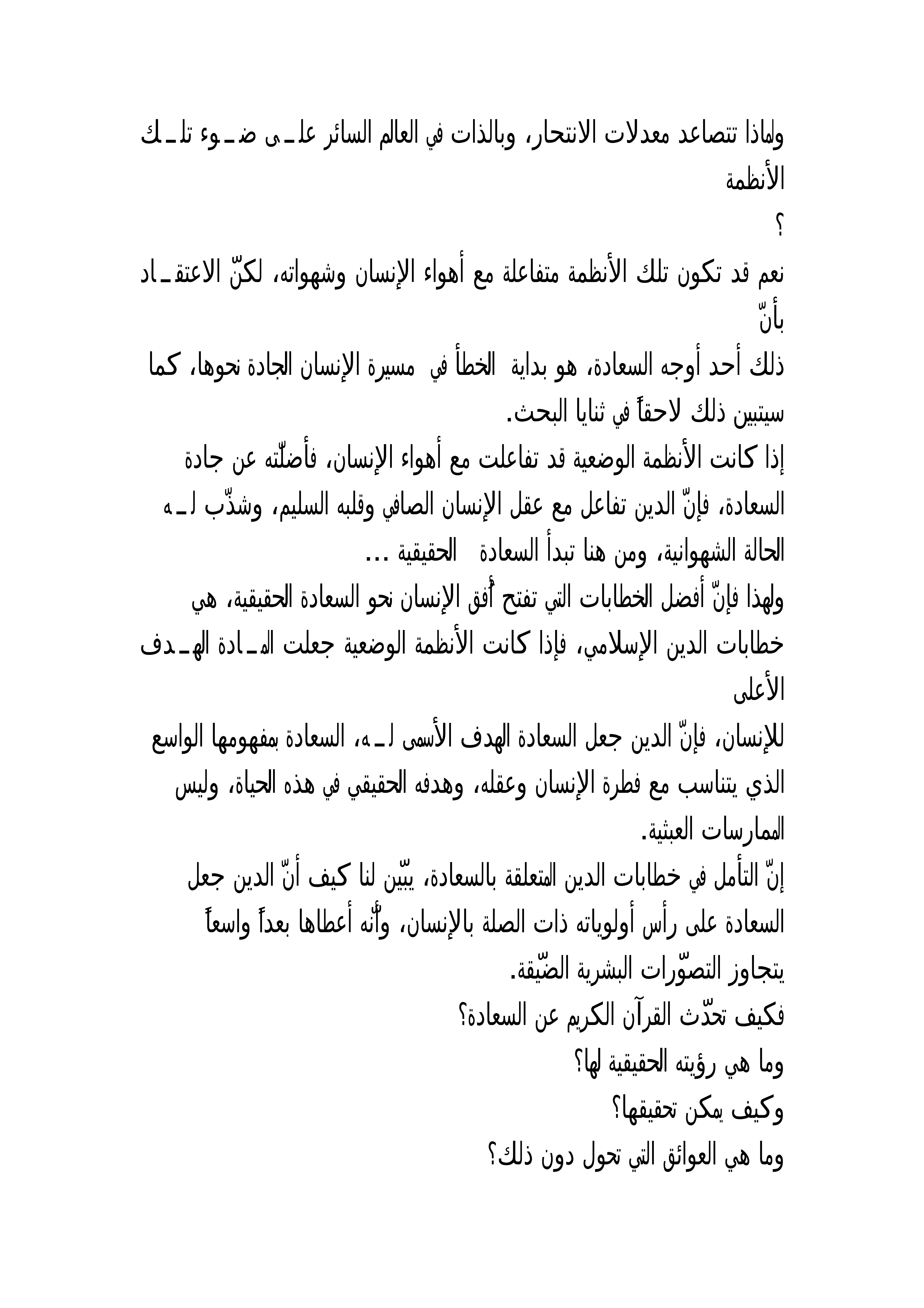
قم المقدسة

فيصل العوامي

الفصل الأول :



بمجرد أن يتصدّر اسم الدين والقيم في الواجهة، ويُنادى بضرورة الالتزام بالمثل الإيمانية، تنتاب البعض حالة من الانقباض، وشعور بأن ذلك عبارة عن مجموعة قيود
وأغلال تكبل الإنسان وتحول دون إنطلاقه وسعادته، باعتبار أنّ الدين لا ينظر للمكلفين إلاّ من جهة العبودية، ولا يقول لهم إلاّ: لا تفعلوا، لا تسمعوا، لا تأكلوا، لا تنظروا، لا...
وفي الحقيقة هذا فهمٌ قاصر للدين والالتزام؛ لأنّ الدين ليس مجّرد قيود، وإنما هو آفاق واسعة ومنشرحة، ومباحاته أكثر بكثير من محّرماته، بل هو أكثر انشراحاً
وسعة من سائر الأنظمة والقوانين الوضعية، ومجرد تأّمل منصف في طبيعة القيود السياسية والاقتصادية وأشباهها التي تنادي با الأنظمة الوضعية، يكفي في التوصل
لهذه الحقيقة.
وإن كان تجاوز الدين لصالح الأنظمة والقوانين الوضعية هو الحل السحري للحصول
على السعادة، فأين هي السعادة التي جاءت با هذه الأنظمة؟ لماذا تطالعنا وسائل الأعلام كل يوم بذلك التزايد في معدلات الأمراض النفسية من الاكتئاب والقلق،



ولماذا تتصاعد معدلات الانتحار، وبالذات في العالم السائر علـى ضـوء تلـك الأنظمة

؟

نعم قد تكون تلك الأنظمة متفاعلة مع أهواء الإنسان وشهواته، لكنّ الاعتقـاد بأنّ

ذلك أحد أوجه السعادة، هو بداية الخطأ في مسيرة الإنسان الجادة نحوها، كما سيتبين ذلك لاحقاً في ثنايا البحث.

إذا كانت الأنظمة الوضعية قد تفاعلت مع أهواء الإنسان، فأضلّته عن جادة السعادة، فإنّ الدين تفاعل مع عقل الإنسان الصافي وقلبه السليم، وشذّب لـه الحالة الشهوانية، ومن هنا تبدأ السعادة الحقيقية ...

ولهذا فإنّ أفضل الخطابات التي تفتح أُفق الإنسان نحو السعادة الحقيقية، هي خطابات الدين الإسلامي، فإذا كانت الأنظمة الوضعية جعلت المـادة الهـدف الأعلى

للإنسان، فإنّ الدين جعل السعادة الهدف الأسمى لـه، السعادة بمفهومها الواسع الذي يتناسب مع فطرة الإنسان وعقله، وهدفه الحقيقي في هذه الحياة، وليس الممارسات العبثية.

إنّ التأمل في خطابات الدين المتعلقة بالسعادة، يبّين لنا كيف أنّ الدين جعل السعادة على رأس أولوياته ذات الصلة بالإنسان، وأنّه أعطاها بعداً واسعاً يتجاوز التصوّرات البشرية الضّيقة.

فكيف تحدّث القرآن الكريم عن السعادة؟

وما هي رؤيته الحقيقية لها؟

وكيف يمكن تحقيقها؟

وما هي العوائق التي تحول دون ذلك؟

في البدء لا بد أن نعلم بأنّ الآيات المباركة لم تتحدث عن السـعادة بأسـلوب واحد
واصطلاح واحد، وإنما تارة تشير إليها بالنظر إلى النتائج، كالحديث عن الفلاح والفوز والسرور، وتارة تشير إلى بعض عناصرها، كالحـديث عـن السـكينة والاطمئنان،
وتارة ثالثة تشير إليها من خلال التنبيه إلى ما يخالفها، كالشقاء والحزن والغم، هذا عدا التأكيد على الأسباب والعوائق.
فهذا التعدد في نمط الخطاب يبين لنا بوضوح مدى الاهتمام الذي أوّلته الآيات القرآنية لهذا الموضوع المهم، فهي لم تشر إليه مجرد إشارات عابرة، وإنّما غطّته من جميع الجوانب.
ثُم إنّ الآيات ليست في مقام العرض المجرّد، أي ليست إخبارية فقط، وإنّما الإنشاء فيها أبلغ؛ لأنها تشجع الإنسان من خلال الأنماط المتعددة للخطاب؛ ليسعى بجد نحو السعادة والسرور، باعتبار أنها ترفع من شأن المفلحين والفائزين، كما في قوله تعالى:
? فَمَن ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُوْلَـئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُون ?( ).
? خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ?( ).
فالآيات المباركة تريد من الإنسان أن يكون سعيداً مسروراً، ولهذا أوضحت لـه الطريق الصحيح للسعادة الحقيقية ... فالأمر قد يلتبس على الإنسان في تحديد حقيقة السعادة، ولهذا تجده يتوسل بأساليب بعيدة، زعماً منه أنها تؤدي إلى السعادة، لكنها في الحقيقة تؤدي إلى شيء آخر.
وقد أشارت الآيات إلى هذا المعنى لتّنبه الإنسان إلى حقيقة السعادة، فقد قال تعالى:
? إِذْ قَالَ لَهُ قَوْمُهُ لاَ تَفْرَحْ إِن الله لاَ يُحِب الْفَرِحِينَ ?(

).
وذلك في شأن قارون عندما قاده خياله إلى أنّ السعادة في كسب المـال وجمـع اكبر
قدر ممكن من المادة.
وقال سبحانه: ?حَتى إِذَا فَرِحُواْ بِمَا أُوتُواْ أَخَذْنَاهُم بَغْتَةً
فَإِذَا هُم مُبْلِسُونَ ?( )
تقرير لحال بعض الأمم التي تمرّدت على خط الأنبياء ?، وسلكت طريق الأهواء والشهوات معتقدين أنه المحقق للسعادة.
وقال عزوجل: ? وَفَرِحُواْ بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَا الْحَيَاةُ
الدُّنْيَا فِي الآخِرَةِ إِلا مَتَاعٌ ?( ).
وما أشبه من الآيات القرآنية المباركة، وهي جميعاً تنّبه الإنسان إلى بعض الطرق الخاطئة، التي قد يعتقد الإنسان أنها تنتهي به إلى السعادة، لكنها مجرد سحابٍ عابر، وفرح مؤقت..
والجميل في الآيات أنها عبّرت عن ذلك كله بالفرح، ولم تعبّر عنه بالفلاح أو الفوز وما إلى ذلك؛ وذاك لأنّ الفرح ما هو إلاّ (انشراح الصدر بلذة عاجلة)( )، فقد يلتذ الإنسان قليلاً، ولكن سرعان ما ينجلي الأمر وينكشف عـن شـقاوة دائمة،
والسعادة ليست هي اللذة العابرة والمؤقتة، وإنما هي الفلاح الدائم.
إذاً ما هي السعادة؟
عناصر السعادة المثلى
في الآيات المباركة نمطان كلّ منهما يعرّفنا حقيقةً على المعنى الدقيق للسعادة، أحدهما إيجابي، والآخر سلبي... ولنقل: إنّ الأول يتكفّل بتحديد العناصر الحقيقية المكوّنة للسعادة، والثاني تأكيد عليها..

ففي النمط الأول بّينت الآيات عناصر السعادة وهي:
1 - السكينة.
2 - الاطمئنان.
وهذه العناصر قد تلتقي مع بعضها لتؤدي نفس المعنى، ولكن مع ذلك لا بد أن يكون
بينها افتراق ولو كان نسبّياً، إذ يمكن أن نقول بأنّ الاطمئنان هو السكينة، والسكينة هي الاطمئنان، وكل منهما يشكلّ حقيقة السعادة، لكن ذلـك أنمـا يكون
على سبيل التسامح، وإلاّ فعلى سبيل الدقة فالأمر يختلف، فلكل اصطلاح قرآني ظلال
خاصة، وإنما جيء بما لما بينهما من العموم والخصوص من وجه، أولاً أقل من العموم والخصوص المطلق، فقد يلتقيان فعلاً، ولكن ذلك لا يعني التطابق الكلي، إذ
بينهما مادة افتراق، وتشخيص مادة الافتراق يزيد الأمر جلاءً، ويبين أنّ كلاً منهما عنصر مستقل، وليسا عنصراً واحداً عبّرت عنه الآيات بأسلوب الترادف.
فقد قال تعالى متحدثاً في الآيات المباركة عن السكينة:
? هُوَ الذِي أَنزَلَ السكِينَةَ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوا إِيمَانًا?( ).
? فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنزَلَ السكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَابَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا ?( ).
? ثُم أَنزلَ الله سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ ?( ).
? فَأَنزَلَ الله سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيدَهُ بِجُنُودٍ لمْ تَرَوْهَا

?( ).
? فَأَنزَلَ الله سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ ?( ).
? إِن آيَةَ مُلْكِهِ أَن يَأْتِيَكُمُ التَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٌ من
ربكُمْ ?( ).
والسكينة من السكون وهو ما يتصف بالاستقرار والثبات( )، وقال الراغـب: السكون
ثبوت الشيء بعد تحـرّك، قال: وقيل: السـ ـ ـكـ ـ ـينة
والسكن واحد، وهو زوال الرعب.( )
ويبدو أنّ هذا التعريف يتناسب مع السياق العام لجميع الآيات القرآنية المذكورة - وبذلك يمكن تفسير البقية - لأنّ المؤمنين كانوا في حالة من الرعب والخوف المتفاوت نسبة وجهةً، لما يمّرون به من ظرف قتالي عصيب، فأنزل الله سبحانه عليهم السكينة، بأن سكّن نفوسهم وثبّتها وأزال عنـهم الرعـب والخـوف، فأصبحوا في
حالة من الاستقرار.. فالسكينة عبارة عن الاستقرار النفسي بتجاوز حالة الخوف من
أي شيء كان.
ثم يقول عزوجل عن الاطمئنان:
? وَمَا جَعَلَهُ الله إِلاَّ بُشْرَى لَكُمْ وَلِتَطْمَئِن قُلُوبُكُم
بِهِ?( ).
? قَالُواْ نُرِيدُ أَن نَّأْكُلَ مِنْهَا وَتَطْمَئِن قُلُوبُنَا?( ).
? وَمَا جَعَلَهُ الله إِلاَّ بُشْرَى وَلِتَطْمَئِن بِهِ قُلُوبُكُمْ ?( ).
?الَّذِينَ آمَنُواْ وَتَطْمَئِن قُلُوبُهُم بِذِكْرِ الله أَلاَ بِذِكْرِ
الله تَطْمَئِن الْقُلُوبُ ?( ).

? قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِن قَالَ بَلَى وَلَـكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِي ?( ).
? إِلا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالإِيمَانِ ?( ).
? وَضَرَبَ الله مَثَلاً قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُّطْمَئِنَّةً ?( ).
والاطمئنان وإن كان عبارة عن سكون النفس، لكن فيه خصوصية وهي السكون بعد
الانزعاج ( ).
والانزعاج إمّا أنّ يكون أعمّ من الخوف وسائر الاضطرابات النفسية، وإمّا أن يكون معنى مبايناً للخوف، فالخوف عنوان مستقل، والانزعاج عنوان مستقل آخر، يعني
سائر الاضطرابات النفسية ما عدا الخوف.
ومن هنا يأتي الافتراق بين السكينة والاطمئنان، فالسكينة عبارة عن استقرار النفس من الخوف بشتى صوره ومناشئه، والاطمئنان عبارة عن استقرار النفس من سائر
الاضطرابات النفسية، كالقلق والاكتئاب والشك والاحباط وما أشبه.
والسعادة في معناها الايجابي جامعة لهذين العنصرين، فهي تعني الاستقرار النفسي من كل ما يزعج النفس من خوف أو أي اضطراب آخر، كالقلق وغيره مما ذكر.
لكن هذه السعادة لا تتم إلا إذا كانت نهايتها الفلاح، وهو عين ما أكدت عليه الآيات المباركة تماماً، كما في قوله تعالى:
? ذَلِكَ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يُرِيدُونَ وَجْهَ الله وَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ?( ).
? فَأَمَّا مَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَعَسَى أَن يَكُونَ مِنَ الْمُفْلِحِينَ ?( ).

? فَاتقُواْ الله َيا أُوْلِي الأَلْبَابِ لَعَلكُمْ ُتفْلِحُونَ ?( ).
فلابد من الفلاح، وإلاّ فلن تكون السعادة تامة، وإنما تكون مؤقتة، فالفلاح هو (الظفر وإدراك بغية)( )، أي الوصول إلى الهدف الحقيقي الذي يتمّناه الإنسان.
وهذه هي السعادة في الرؤية القرآنية، فهي سكون واطمئنان تام، ينتهي بالفلاح وبالنتائج الطيبة .. وطبيعة مسيرة سعيدة كهذه أن يعقبها فوز وسرور، وذلـك منتهى
السعادة، وبذلك نصّت الآيات في قوله تعالى:
? فَمَن زُحْزِحَ عَنِ النارِ وَأُدْخِلَ الْجَنةَ فَقَدْ فَازَ ?( ).
? أَصْحَابُ الْجَنةِ هُمُ الْفَائِزُونَ ?( ).
? فَوَقَاهُمُ الله شَر ذَلِكَ الْيَوْمِ وَلَقاهُمْ َنضْرَةً وَسُرُورًا ?( ).
هذا هو النمط الإيجابي من الخطاب القرآني المؤكد على السعادة، وهو يعتبر السكينة والاطمئنان عنصرين أساسيين للسعادة، ينتـهيان بـالفلاح، فـالفوز والسرور،
مع ملاحظة أنّ الفوز والسرور في الاستخدام القرآني متعلق بالبعد الأُخروي، والفلاح متعلق بالبعد الدنيوي، وقد يتعلق بالآخرة أيضاً.
وأما النمط السلبي فقد اكد فيه على أنّ السعادة طاردة لعنصرين أساسيين:
1 - الغم.
2 - الحزن.
وكل ما بينهما من المفارقة أنّ الأول سبب للثاني، والثاني نتيجة طبيعية للأول ومرحلة متقدّمة منه.
فالغم هو ستر الشيء، وغمّة الأمر أي كربة، يقال: غَـمّ وغُمّـة: أي كـرب وكربة( ).

أي كأنّ حاجباً يهوي على قلب الإنسان فيستره، بحيث تتشوّش عنده الأمور، مما يسبب عدم استقرار القلب وعدم رؤيته الواضحة لطريق السعادة.

والغم إذا بقي يزداد ظلمة فيتحوّل إلى حزن أو يؤدي إليه، ولهذا قال الراغب: الحُزْنُ والحَزَنْ: خشونة في الأرض وخشونه في النفس لما يحصل فيه من الغم.( )

فالغم يتعمّق ويتعمّق ويزداد خشونة وظلاماً في داخل القلب، فتتحوّل الحالة إلى حزن عند الإنسان.. والحزن أعم من الهم، ولذا جاء في تعريف الهم انه الحـزن الذي

يذيب الإنسان( ).. ولذلك فالتعبير بالحزن في الآيات كافٍ لأنه شـامل للـهم وغيره.

فالسعادة طاردة أولاً للغم، كما قال تعالى:

? وَنَجيْنَاهُ مِنَ الْغَم ?( ).

? ثُم أَنزَلَ عَلَيْكُم من بَعْدِ الْغَم أَمَنَةً نعَاسًا ?( ).

? وَقَتَلْتَ نَفْسًا فَنَجيْنَاكَ مِنَ الْغَم ?( ).

وكذلك لا مجال للحزن معها، وبذا صرّحت الآيات المباركة في قوله تعالى:

? الْحَمْدُ لِلهِ الذِي أَذْهَبَ عَنا الْحَزَنَ ?( ).

? إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لاَ تَحْزَنْ إِن الله مَعَنَا ?( ).

? تَتَنزلُ عَلَيْهِمُ الْمَلائِكَةُ أَلا تَخَافُوا وَلا تَحْزَنُوا ?( ).

وحيث إنّ السعادة طاردة للغم والحزن فلن يؤدي الأمر للشقاوة؛ لأنّ الشقاوة والشقاء - أي التعاسة - نتيجة للغم والحزن، كما أنّ الفلاح نتيجة للسكينة والاطمئنان، فحيث لاغم ولا حزن، فلا شقاوة بل سعادة وفلاح..

يقول تعالى:

? إِن هَذَا عَدُو لكَ وَلِزَوْجِكَ فَلا يُخْرِجَنكُمَا مِنَ الْجَنةِ فَتَشْقَى ?( ).

فالشيطان بأساليبه المتعددة يقود الإنسان نحو الشقاء، والشقاوة خلاف السعادة( )، كما أنّ السعادة يضادها الشقاوة.( )

من كل ذلك يتحّصل أنّ السعادة في الرؤية القرآنيـة عبـارة عـن السـكينة والاطمئنان

القلبيين المزيلين للخوف ولكل أشكال الاضطرابات النفسية، بحيـث لا يبقـى معهما غم

ولا حزن، ينتج عنهما الفلاح في الدنيا، فالفوز والسرور في الآخرة، وهما نهاية السعادة الحقيقية، كما قال تعالى:

? فَمِنْهُمْ شَقِي وَسَعِيدٌ ?( ).

? وَأما الذِينَ سُعِدُواْ فَفِي الْجَنةِ خَالِدِينَ فِيهَا ?( ).

كيف تتحقق السعادة؟

حين تحدثت الآيات المباركة عن السعادة، لم تُظهرها على أنها عنوان خيالي لا يمكن تحصيله، وإنما اعتبرتها هدفاً واقعياً يمكن التوصل إليه .. ولذلك ركّزت على الطرق الكفيلة بتحقيق هذا الهدف السامي.

وزيادة في التأكيد على واقعية هذا الهدف، لم تقتصر الآيات على مجرد العرض النظري في خطابها، وإنما انتقلت للحديث العملي، حيث عمـدت إلى عـرض العديد من

التجارب الواقعية التي حدثت في التاريخ، وتجلّت فيها بعض العبر المرتبطة بطرق تحقيق السعادة، ولذلك فحين عرضتها ركّزت على الجوانب المضيئة فيهـا، ولم تعرضها

كحدث تاريخي مجّرد.

وقد أكثرت الآيات القرآنية من التجارب الواقعية، بل وحتى في العرض النظـري أكثرت

الآيات من التجارب الواقعية، بل وحتى العرض النظري أكثرت الآيـات مـن التوجيه
والتذكير، والسبب في ذلك ليس مجرد التأكيد، وإنما لأنّ الإنسان عادة ما يتوسّل بطرق وأساليب خاطئة، وقد لا يلتفت لعدم جدوائيتها إلاّ بعد فوات الأوان، أو لا
أقل بعد أن يقطع شوطاً طويلاً في التطبيق العملي ... هذا من جهة، ومن جهـة أخرى
إنّ الطرق التي يرسمها القرآن الكريم قد لا يقتنع بها الإنسان سريعاً؛ لأنها مع وضوحها إلاّ أنها تحتاج إلى تجسيد حقيقي، ولذلك قد يسارع الإنسان في رفضها وعدم
المبالاة بها، في حين أنها تمثل الطرق الحقيقية الكفيلة بتحقيق السعادة ..
ولذلك يؤكد عليها القرآن كثيراً، نظرياً وعملياً.
فما هي عمدة الطرق التي أكدّت عليها الآيات؟
لا بد أن نشير هنا إلى أن الآيات المباركة في الكثير من خطاباتها تؤكد على أن العمق الحقيقي للإنسان يكمن في محورين أساسيين: الأول الروح، والثاني العقل، كما أشرنا إلى ذلك في الجزء الثاني من هذه السلسلة، وبالتالي فإنّ سعادة الإنسان لابد أن تطال هذين المحورين، فالروح لابد أن تكون سعيدة وكـذلك العقل،
وإلاّ فالسعادة صورية ... وهذا ما ركّزت عليه الآيات عندما رسمـت طـرق السعادة
للإنسان، فجعلت سعادة الروح في الإيمان، وسعادة العقل في الهدى، فبالإيمان والهدى تتكامل السعادة عند الإنسان.
1- السلامة الروحية (الإيمان).

عندما تحدثنا في الموضوع السابق عن عناصر السعادة، توصّلنا إلى أننا تتركز في عنصرين أساسيين: أولهما السكينة وثانيهما الاطمئنان، بالإضافة إلى نتيجة صالحة وهي الفلاح.

والآن لو نتأمل في الآيات التي تحدّثت عنها، نجد أننا بأجمعها لا تأتي إلاّ من الله سبحانه وتعالى، فالآيات تؤكد وبشكل مستمر على أنّ الطريق الوحيد لهذه العناصر هو الله سبحانه وتعالى ...

لنرجع إلى جميع الآيات المتحدثة عن السكينة والاطمئنان والفلاح، فإننا سـ ـنجد هذا

الأمر في أتم الوضوح ...

فعن السكينة يقول تعالى:

? هُوَ الذِي أَنزَلَ السكِينَةَ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوا إِيمَانًا?( ).

? ثُم أَنزلَ الله سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ ?( ).

? إِن آيَةَ مُلْكِهِ أَن يَأْتِيَكُمُ التابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٌ من ربكُمْ ?.

وهكذا بقية الآيات التي سبق أن تعرضنا لها ... ففيها جميعاً يؤكد القرآن على أنّ الله سبحانه هو الذي يـ ـل السكينة لا غيره، ونزول السكينة يهدف لتعميق الإيمان عند الإنسان، كما هو واضح في الآية الأولى.

وعن الاطمئنان يقول سبحانه:

? الذِينَ آمَنُواْ وَتَطْمَئِن قُلُوبُهُم بِذِكْرِ الله أَلاَ بِذِكْرِ الله تَطْمَئِن الْقُلُوبُ ?( ).

? وَمَا جَعَلَهُ الله إِلا بُشْرَى لَكُمْ وَلِتَطْمَئِن قُلُوبُكُم بِهِ

?( ).

? وَمَا جَعَلَهُ الله إِلاَّ بُشْرَى وَلِتَطْمَئِن بِهِ قُلُوبُكُمْ ?( ).

? قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِن قَالَ بَلَى وَلَـكِن لِّيَطْمَئِن قَلْبِي ?( ).

فالآية الأولى نظرياً تؤكد أنّ الاطمئنان يتحقق من خلال المداومة على ذكر الله سبحانه، والآيتان الثانية والثالثة تؤكدان ذلك من خلال تجربة واقعية حدثت في غزوة بدر، حيث تحقق الاطمئنان عند المسلمين بفعل التأييد الإلهي لهم المتمثّل في نزول الملائكة، والآية الأخيرة تبين أن الاطمئنان الذي هدف إليه إبراهيم ? كان مصدره الحقيقي تأييداً من الله سبحانه، ولذا جاء في مطلع الآية:

? وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَب أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِـي الْمَوْتَى ?( ).

فهو طلب مراده من الله سبحانه لغرض تحقيق الاطمئنان:

? قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِن قَالَ بَلَى وَلَـكِن لِّيَطْمَئِن قَلْبِي ?( ).

وقد استجاب الله عزوجل له ذلك، ليعمّق الاطمئنان عنده:

? قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِنَ الطيْرِ فَصُرْهُن إِلَيْكَ ثُم اجْعَلْ
عَلَى كُل جَبَلٍ منْهُن جُزْءًا ثُم ادْعُهُن يَأْتِينَكَ سَعْيًا
وَاعْلَمْ أَن الله عَزِيزٌ حَكِيمٌ ?( ).

وعن الفلاح يقول عزت قدرته:

? فَاتقُواْ الله يَا أُوْلِي الأَلْبَابِ لَعَلكُمْ تُفْلِحُونَ ?( ).

? فَاذْكُرُواْ آلاء الله لَعَلكُمْ تُفْلِحُونَ ?( ).

? وَاذْكُرُواْ الله كَثِيرًا لَعَلكُمْ تُفْلَحُونَ ?( ).

فتقوى الله سبحانه، وذكر آلائه، وذكره هي الطريق لتحصيل الفلاح .

هذا ما يرتبط بالعرض الايجابي، والعرض السلبي مثله تماماً، فالغم أنما ينجلي بدعم من الله سبحانه، كما في قوله تعالى:

? وَنَجيْنَاهُ مِنَ الْغَم ?( ).

? وَقَتَلْتَ نَفْسًا فَنَجَّيْنَاكَ مِنَ الْغَم ?( ).
وهكذا تقول الآيات عن الحزن:
? الْحَمْدُ لِلهِ الذِي أَذْهَبَ عَنا الْحَزَنَ ?( ).
? إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لاَ تَحْزَنْ إن الله مَعَنا ?( ).
? تَتَنزلُ عَلَيْهِمُ الْمَلائِكَةُ أَلا تَخَافُوا وَلا تَحْزَنُوا ?( ).
فالله سبحانه وتعالى هو الذي نجّى يونس ? وموسى ? من الغم، وهـو الـذي يُذهبُ
الحزن عن المؤمنين في الجنة، والرسول ? يقول لصاحبه في الغار أن لا يحزن بسبب
إنّ الله سبحانه معهما، فما دام الله يؤيدهما فلا مجال للحزن، وفي الآية
الاخيرة يُؤكّد على أنّ الملائكة بأمر من الله سبحانه تـ ل لتشرح صدور المؤمنين
وتدفعهم لطرد الخوف والحزن.
ولزيادة التأكيد تأتي الآية المباركة المتعرّضة للشقاء، لتبّين أنّ اتباع غير
الطريق الالهي لا يقود الإنسان إلاّ إلى الشقاء، وذلك تأكيد صريح على إنّ
السعادة لا تأتي إلاّ من الله سبحانه وتعالى:
? إن هَذَا عَدُو لكَ وَلِزَوْجِكَ فَلا يُخْرِجَنكُمَا مِنَ
الْجَنةِ فَتَشْقَى ?( ).
فاتباع الشيطان - أي اتباع غير الطريق الإلهي - نتيجته الحقيقية الشقاء، وأمّا
السعادة فلا تأتي إلاّ من الله سبحانه.
فالعرض النظري كله يسير في سبيل التأكيد على أنّ الصفاء الروحي والسعادة
القلبية بكل أوجهها لا تتحقق إلاّ عبر التأييد الإلهي، أي عبر الإيمان ...
وهكذا تأتي التجارب العملمية لتبين واقعية هذا الأمر.
يونس ? في عمق البحر( )
لقد عرضتْ لنا الآيات المباركة من سورة الأنبياء تجربة نبي الله يونس ?، بشكل

ينتهي لتأكيد هذه الحقيقة المهمة، ويمكن لنا التأمل في بعض جوانبها للتحقق من ذلك.

قال تعالى:

? وَذَا النون إِذ ذَهَبَ مُغَاضِبًا فَظَنَ أَن لن نقْدِرَ عَلَيْهِ
فَنَادَى فِي الظلُمَاتِ أَن لا إِلَهَ إِلا أَنتَ سُبْحَانَكَ إِني كُنتُ
مِنَ الظالِمِينَ ? فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَنَجيْنَاهُ مِنَ الْغَم
وَكَذَلِكَ نُنجِي الْمُؤْمِنِينَ ?( ).

فهذه الآيات تشير إلى أنّ مصدر التعاسة الحقيقية عند الإنسان يكمن في القلب، باعتبار أنّ المشكلة الأساسية التي كان يعاني منها يونس ? تتمثل في بقائه في بطن الحوت، وحين نجّاه الله سبحانه لم يؤكد على النجاة من الحوت، وإنما أكدّ على النجاة من الغم، فالغم الذي طرأ على يونس ? بسبب بقائه في بطن الحوت انجلى

بتدخّل من الله عزوجل، والتركيز على خصوص الغم مع أنّ يـونس ? أصـيب بأضرار جسدية

تأكيد واضح على أهمية الروح وأنا الموطن الحقيقي للسعادة.

ولكن كيف انجلى عنه الغم؟

بيقينه بالدعم الالهي، وتمحّضه في طلب العون من الله سبحانه، كما تؤكد علـى ذلك

الآيات.. ويمكن ملاحظة ذلك من خلال الاستعانة بالروايات المفسّرة.

فقد ورد في الصحيح عن علي بن إبراهيم قال حدثني أبي عن ابن أبي عمير عـن جميل

قال: قال لي أبو عبد الله ?: ما ردّ العذاب عن قوم يونس، فكان يونس يدعوهم إلى

الإسلام فيأبون ذلك، فهمّ أن يدعو عليهم، وكان فيهم رجلان عابـد وعـالم، وكان اسم
أحدهما مليخا والآخر اسمه روبيل، وكان العابد يشير على يونس بالدعاء عليهم، وكان العالم ينهاه ويقول: لا تدع عليهم فإنّ الله يستجيب لك ولا يحب هلاك عباده، فقبل قول العابد ولم يقبل من العالم، فدعا عليهم فأوحى الله إليه أنّ العذاب يأتيهم في سنة كذا، في شهر كذا، في يوم كذا، فلمّا قرب الوقت خرج يونس
من بينهم مع العابد وبقي العالم فيها، فلمّا كان اليوم الذي نزل العذاب، فقال العالم لهم: يا قوم افزعوا إلى الله فلعله يرحمكم ويرد العذاب عنكم، فقالوا: كيف نصنع؟.
فقال: اجتمعوا واخرجوا إلى المفازة، وفرّقوا بين النساء والأطفال، وبين الإبل وأولادها، وبين البقر وأولادها، وبين الغنم وأولادها، ثم ابكوا وادعوا، فذهبوا وفعلوا ذلك وضّجوا وبكوا، فرحمهم الله وصرف عنهم العذاب، وفرّق العـذاب على
الجبال، وقد كان نزل وقرب منهم، فأقبل يونس لينظر كيف أهلكهم الله، فرأى الزارعين يزرعون في أرضهم، فقال لهم: ما فعل قوم يونس؟ قالوا - ولم يعرفـوه - :
إنّ يونس دعا عليهم فاستجاب الله لـه ونزل العذاب عليهم، فاجتمعوا وبكـوا ودعوا
فرحمهم الله وصرف ذلك عنهم، وفرّق العذاب على الجبال، فهـم إذاً يطلبـون يونس
ليؤمنوا به، فغضب ومرّ على وجهه مغاضباً لله كما حكى الله عنه.( )
ومضى في سبيله وصعد السفينة ولمّا اعترضهم الحوت ? سَاهَمَ فَكَانَ مِنْ

ﭐلۡمُدۡحَضِينَ ? فَٱلۡتَقَمَهُ ٱلۡحُوتُ ?( ) ومكث في بطنه أربعين صباحاً يطوف
معه البحار.( )
فأخذ يتوسّل بالله سبحانه متزوّداً باليقين، ولم يتوسّل بغيره أبداً، وذلك كان
السبب في نجاته..
يقول تعالى:
? فَظَنَ أَن لن نقۡدِرَ عَلَيۡهِ ?( ).
أي تيقّن ان الله سبحانه لن يضيق عليه رزقة وسيتولاه بدعمه وتأييده، فقد جاء
في
عيون أخبار الرضا ? بالإسناد إلى أبي الصلت الهروي لمّا جمع المأمون لعلي بن
موسى الرضا ? أهل الملل والديانات للمناظرة في عصمة الأنبيـاء ? في حـديث
مفصّل
قال الامام ?: وأما قوله عزوجل: ? وَذَا النونِ إذ ذَهَبَ مُغَاضِبًا
فَظَن أَن لن نقۡدِرَ عَلَيۡهِ ? إنما ظن بمعنى استيقن أنّ الله لن يضّيق
عليه رزقه، ألا تسمع قولـه الله عزوجل ? وَأما إِذَا مَا ٱبۡتَلاهُ فَقَدَرَ
عَلَيۡهِ رِزۡقَهُ ?( ) أي ضّيق عليه رزقه، ولو ظنّ أنّ الله لا يقدر عليه لكان
قد كفر.( )
ففي البداية كان على يقين تام من تأييد الله سبحانه، وبذا اليقين صار يدعو،
وكدليل على ذلك انّ يونس ? وهو في بطن الحوت وفي أعماق البحار لم يتوسّل
بغير
الله عزوجل، مع أنّ الإنسان في مثل هذه الحالة يمكن أن يتوسّل بكل شيء طلباً
في
النجاة، ولكنه لم يتوسل بغير الله سبحانه.. فقد قال تعالى:
? فَنَادَى ِفي الظلُمَاتِ أَن لا إِلَهَ إِلا أَنتَ سُبۡحَانَكَ ?( ).

فقد ورد في عدة من التفاسير أنه كان في ثلاث ظلمات، كما في رواية في عيون أخبار
الرضا( )، وفي مصباح المتهجّد للشيخ الطوسي( )، وفي تفسير القمي في روايـة لأبي
الجارود عن أبي جعفر? قال:
(لبث يونس في بطن الحوت ثلاثة أيام، ونادى في الظلمات - ظلمة بطن الحوت، وظلمة
الليل، وظلمة البحر - : أن لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت مـن الظـالمين، فاستجاب
له ربه ...).( )
وعندما كان في الظلمات لم يتوسل بغير الله، وإنما كان أمله واعتماده الحقيقي على الله وحده، ولهذا لم يقل طوال أربعين يوماً، وهو في بطن الحوت غير ? لا إِلَهَ إِلا أَنتَ سُبْحَانَكَ ?.
ولذلك نجا، ولو توسّل بطريق آخر لفشل، فقد قال سبحانه: ? فَلَوْلا أَنَّهُ كَانَ مِنْ الْمُسَبِّحِينَ ? لَلَبِثَ فِي بَطْنِهِ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ ?( ).
وقد أخبرنا الله سبحانه أنه نجّاه من الغم، مع أنّ بقاءه في بطن الحوت تسببت عنه أضرار جسدية عديدة، فقد ورد في رواية مفصّلة يرويها علي ابن ابـراهيم القمي
في تفسيره عن أمير المؤمنين ? قال: فلمّا رأى يونس ذلك ? نَادَى فِي الظُّلُمَاتِ أَن لا إِلَهَ إِلا أَنتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ
الظَّالِمِينَ ? فاستجاب الله لـه، وأمر الحوت أن تلفظه فلفظته على ساحل البحر،

وقد ذهب جلده ولحمه، وأنبت الله عليه شجرة من يقطين، وهي الدبا، فأظلّتـه
من
الشمس فسكن.( )
فقد أصيب بأضرار جسدية عديدة من ذهاب الجلد واللحم، ولكن الآية ركّزت
على الروح
والقلب، للإشعار بأنّ المرض الحقيقي أنما هو مـرض القلـب والـروح، وإلاّ
فالأمراض
الجسدية تهون، فالسعادة أنما تكون إذا تكرّست في القلب وتجذّرت في الـروح،
وهذه
السعادة لا يمكن الظفر بها وتحصيلها إلاّ عبر الطريق الإلهي، والمقصود به هنا
الإيمان، وهذا ما ختمت به الآية:
? وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْغَم وَكَذَٰلِكَ نُنجِي الْمُؤْمِنِينَ ?( ).
وهناك تجارب عديدة في ثنايا الآيات القرآنية المباركة، غير أنني اكتفي بهذه
التجربة رعاية للاختصار الذي انتهجته في هذه السلسلة.
2 - الرشد العقلي (الهدى).
إذا كان الفلاح هو النتيجة الطبيعية للسكينة والاطمئنان، فإنّ الشقاء هو
النتيجة الطبيعية للغم والحزن، وبهذا يكون الفلاح مضاداً للشقاء، وبناء على ذلك
يكون منتهى السعادة تحصيل الفلاح وتجّنب الشقاء.
لكن كيف يمكن تحصيل الفلاح؟
وكيف يمكن تجّنب الشقاء؟
وبالتالي كيف يمكن تحصيل السعادة؟
سبق أن قلنا: إنّ الإيمان والسلامة الروحية أحد طرق تحصيل السعادة، بدلالة
الآيات القرآنية الصريحة في التأكيد على هذا المعنى.

هنا تسترسل الآيات المباركة لتوضح لنا الطريق الآخر المكّمـل للطريـق الأول، وهو
الهدى والرشاد العقلي، فهي في الجانب الايجابي تبّين أنّ الهدى هو طريق الفلاح، كما في قوله تعالى:
? أُوْلَئِكَ عَلَى هُدًى من ربهِمْ وَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ?(
)
فإنما أصبح المشار إليهم في الآية من المفلحين؛ لأنم كانوا على هدى من الله سبحانه وتعالى.
وكذلك في الجانب السلبي، حيث إنّ الهدى ينجي الإنسان من الشقاوة، إذ تقول الآية
المباركة:
? فَإِما يَأْتِينكُم مني هُدًى فَمَنِ اتبَعَ هُدَايَ فَلا يَضِل
وَلا يَشْقَى?( ).
فالفلاح يتحصّل عبر الهدى وهو الرشد العقلي.. ولكن أي هدى هـذا الـذي يؤدي إلى
هذه النتيجة المهمة؟
إنّ الهدى الإلهي، فهداية العقل التي تأتي من الله عز وجل وتحظى بتأييده، تؤدي بالإنسان إلى السعادة، وقد نصّت الآيات القرآنية على ذلك في قوله تعالى:
? وَاتبَعُواْ النورَ الذِيَ أُنزِلَ مَعَهُ أُوْلَـئِكَ هُمُ
الْمُفْلِحُونَ ?( ).
? أُوْلَئِكَ عَلَى هُدًى من ربهِمْ وَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ?(
).
? فَإِما يَأْتِينكُم مني هُدًى فَمَنِ اتبَعَ هُدَايَ فَلا يَضِل

وَلا   َيشْقَى?( ).
? فَمَن َتبِعَ ُهدَايَ فَلاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ ُهمْ َيحْزَُنونَ ?( ).
فجميع هذه الآيات التي رّتّبت الفلاح على الهدى، ركّـزتْ علـى أنّ الهـدى
المقصود
أنما هو الهدى المستمد من الله عز وجل، فالآية الأولى تقول ? وَاتَبعُواْ
النورَ الذِيَ أُنزِلَ َمعَهُ ? وهو القرآن، فاتباع القرآن وهو الكلام
والتوجيه الإلهي يؤدي إلى الفلاح، والآيات الثلاث الأُخرى تنسب الهدى إلى الله
عزوجل ? عَلَى ُهدًى من ربهمْ ?، ?َيأِْتَينكُم مني ُهدًى ?، ?
اتبَعَ ُهدَايَ ?، ?َتبِعَ ُهدَايَ ? فالهدى في جميع هذه الآيات الشريفة
منسوب إلى الله عز وجل.
بذا يتبّين أنّ الهداية التي تؤدي إلى الفلاح والسعادة، أنما تأتي من الله
سبحانه، بل ولا يمكن أن تأتي من غيره، فمن غير الله لا يأتي إلا الشقاء، هكذا
يخاطب الباري جل وعلا نبيه آدم ? محذّراً له من اتباع وسوسة الشيطان، فقـد
قال
سبحانه:
? إِن هَذَا عَدُو لكَ وَلِزَوْجِكَ فَلا ُيخْرِجَنكُمَا مِنَ
الْجَنةِ   فَتَشْقَى ?( ).
هكذا تتحصل السعادة.. فمن كان على هدى من الله سـبحانه سـيهتدي في
مسيرته،
وبالتالي سينجح وسيتحّصل على الفلاح، ومن يصل إلى هذه النتيجـة يسـعد،
وهذا هو
السر في الهداية.
ولم تتوقف الآيات عند هذا المستوى من الطرح، وإنما استمرت لتبّين معلماً مهماً

من معالم الهداية.. أي حتى تثمر الهداية فلاحاً حقيقياً، كيف ينبغي أن تكون، وإلى أي درجة ينبغي أن تصل؟.

حتى تؤدي الهداية ثمارها لا بد أن تصل إلى درجة اليقين، الدرجة الـتي تـزول عندها
سائر الأوهام والشكوك والترددات، وذاك أنّ الشك يجعل الإنسـان في حـيرة واضطراب،
مما يؤدي به إلى التخّبط في مسيرته، ونتيجة التخبط الفشل.

بينما يكون الإنسان مستقرّاً إذا كان على يقين تام، وتكون مسيرته مسيرة متوازنة، وذلك بطبيعة الحال يقوده إلى النجاح.

وللتدليل على ذلك، قدّمت الآيات القرآنية العديد من التجارب الحّية، التي تجلّت فيها هذه الدروس بدقّة.

إبراهيم ?: من اليقين إلى الفلاح

في المسيرة الدعوية الشاقة التي قطعها خليل الله إبراهيم ?، كان لابد لـه من نور يهتدي به، ولم يكن أفضل نورانية من اليقين، وبذلك تقدّم نحو ربه:

? إِذْ جَاء رَبهُ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ?( ).

قيل في التفاسير: إنّ «سليم» تعني الخالي من آفات القلـوب أو مـن العلائـق، خالص
لله أو مخلص له( ).

ولأنه كان كذلك اهتدى:

? وَقَالَ إني ذَاهِبٌ إلى رَبي سَيَهْدِينِ ?( ).

وفي آية أخرى:

? الذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهْدِينِ ?( ).

? إلا مَنْ أتى الله بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ?( ).

فقد كان إبراهيم ? متيقناً من هداية ربه لـه، ولذلك اهتدى وكانـت نتيجـة مسيرته
الدعوية نتيجة ناجحة وحسنة.
ولذلك أكّد على إيمانه، حيث سأله ربه عزوجل عن الإيمـان، كمـا في الآيـة المباركة:
? قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِن قَالَ بَلَى وَلَـكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِي ?( ).
وذلك تأكيد على ضرورة طرد كل بذور الشك والريب، فالهداية لا تتحقق بغير هذا..
وإنما نستفيد ذلك من مجموع الروايات التي تعرضت بالتفسير لهذه الحادثة التاريخية المهمة.
ففي الاحتجاج عن أبي محمد العسكري ? قال: قال رسول الله ?: إنّ إبراهيم ? لما
رفع الملكوت، وذلك قول ربي: ? وَكَذَلِكَ نُرِي إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ
السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ ? قوّى الله بصره لما
رفعه دون السماء حتى أبصر الأرض ومن عليها ظاهرين ومستترين، فرأى رجلاً وامرأة
على فاحشة، فدعا الله عليهما بالهلاك فهلكا، ثم رأى آخـرين فـدعا علـيهم بالهلاك.
فأوحى الله إليه: يا إبراهيم اكفف دعوتك عن عبادي وإمائي، فإني أنا الغفور
الرحيم الجبار الحليم لا تضرني ذنوب عبادي كما لا ينفعني طاعتـهم، ولسـت أسوسهم
بشفاء الغيظ كسياستك، فاكفف دعوتك عن عبادي، فإنما أنت عبد نـذير، لا شريك في

المملكة ولا مهيمن عليّ ولا عبادي، وعبادي معي بين خلال ثلاث:
إمّا تابوا إلّي فتبت عليهم وغفرت ذنوبهم وسترت عيوبهم.
وإمّا كففت عنهم عذابي لعلمي بأنه سيخرج من أصلاحبهم ذريات مؤمنـون، فأرفق
بالآباء الكافرين وأتأنّي بالأمهات الكافرات وأرفع عنهم عذابي ليخرج أولئك المؤمنون من أصلابهم، فإذاتزايلوا حقّ بهم عذابي.
وإن لم يكن هذا ولا هذا، فإنّ الذي أعددته لهم من عذابي أعظم مما تريد لهم، فإنّ عذابي لعبادي على حسب جلالي وكبريائي.
يا إبراهيم وخل بيني وبين عبادي، فإني أنا الجبار الحليم العلام الحكيم أُدبرهم بعلمي وأنفذ فيهم قضائي وقدري.( )
ثم التفت ابراهيم ? فرأى جيفة على ساحل البحر بعضها في الماء وبعضها في البر، تجيء سباع الماء فتأكل ما في الماء، ثم ترجع فيشتمل بعضها على بعض فيأكـل بعضها
بعضاً، وتجيء سباع البر فتأكل منها فيشتمل بعضها على بعض فيأكل بعضـها بعضاً.
فعند ذلك تعجب إبراهيم ? مما رأى، وقال يا رب ? أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِـي الْمَوْتَى ?( ) هذه أمم يأكل بعضها بعضاً؟ ? قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِن قَالَ بَلَى وَلَـكِن لِّيَطْمَئِن قَلْبِي ? يعني حتى أرى هذا كما رأيت الأشياء كلها ? قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ الطَّيْرِ ?واخلطهن كما اختلطت هذه الجيفة في هذه السباع ? ثُمَّ ادْعُهُن يَأْتِينَكَ سَعْيًا ?( ).
فقد أمر الله عزوجل إبراهيم ? بذبح أربعة من الطير: طاووس ونسـر وديـك وبط.
فالطاووس يريد به زينة الدنيا، والنسر يريد به الأمل الطويل، والبط يريد له

الحرص، والديك يريد به الشهوة، يقول الله عز وجل: إن احببت أن تحيي قلبك وتطمئن
معي، فاخرج عن هذه الأشياء الأربعة، فإذا كانت هذه الأشياء في قلب فإنه لا يطمئن معي.
وسألته كيف قال ? أَوَلَمْ تُؤْمِن ? مع علمه بسرّه وحاله، فقال: إنه لما قال:
? رَب أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِـي الْمَوْتَى ? كان ظاهراً هذه اللفظة توهم أنه
لم يكن بيقين فقرره الله بسؤاله عنه اسقاطاً للتهمة عنه وتـ يهاً لـه من الشك.( )
وفي رواية أخذ الهدهد والصرد والطاووس والغراب، فذبحهن وعزل رؤوسـهن ودق لحمهن
في الهاون مع عظامهن وريشهن حتى اختلطن، ثم جزأهن عشرة اجزاء على عشرة جبال ثم
وضع عنده حباً وماء، ثم جعل مناقيرهن بين اصابعه، قال إتين معي باذن الله،
فتطاير بعضها إلى بعض اللحوم والريش والعظام، حتى استوت الابـدان كمـا كانت وجاء
كل بدن حتى التزق برقبته التي فيها رأسه والمنقار، فخلى ابراهيم عن مناقيرهن
فوقعن فشربن من ذلك الماء والتقطن من ذلك الحب.( )
والشاهد من هذه التجربة التأكيد على تـ ّه إبراهيم ? من الشك والتردد، وأنـه جاء
ربه بقلب سليم من كل الآفات النفسية وعلى رأسها الشك، كما هو واضح في رواية
العلل السابقة الذكر، وفي هذا السياق أيضاً ورد في الكافي عن الحصين بن الحكم
قال: كتبت إلى العبد الصالح أخبره أني شاك وقد قال ابراهيم ? : ? رَب

أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِـي الْمَوْتَى ?وإني أحب أن تريني شيئاً فكتب إليّ: إن إبراهيم كان مؤمناً واحب أن يزداد إيماناً، وأنت شاك والشاك لاخير فيه.( )

بهذه العقلية الرشيدة المليئة باليقين ذهب إبراهيم ? إلى ربه، وواصل دعوته في سبيله:

? وَقَالَ إني ذَاهِبٌ إلى رَبي سَيَهْدِينِ ?.

لذلك كانت عاقبته سعيدة ونهاية مسيرته حسنة:

? إنا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ? إنهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِين ?( )

فنصره الله جلّ وعلا على نمرود، ونجاه من النار، ورزقه ذرية صالحة.

وعلى غرار نفس هذه التجربة تعرض الآيات المباركة تجربة نبي الله موسـى ?، عندما

وصل إلى البحر وأدركه فرعون وجيشه.. قال تعالى:

? فَأَتْبَعُوهُم مشْرِقِينَ ? فَلَما تَرَاءى الْجَمْعَانِ قَالَ
أَصْحَابُ مُوسَى إنا لَمُدْرَكُونَ ? قَالَ كَلا إن مَعِيَ رَبي
سَيَهْدِينِ ? فَأَوْحَيْنَا إلى مُوسَى أَنِ اضْرِب بعَصَاكَ الْبَحْرَ
فَانفَلَقَ فَكَانَ كُل فِرْقٍ كَالطوْدِ الْعَظِيمِ ? وَأَزْلَفْنَا ثَم
الْآخَرِينَ ? وَأَنجَيْنَا مُوسَى وَمَن معَهُ أَجْمَعِينَ ?( ).

فقوم موسى اعتراهم شيء من الشك والريب بالهداية الالهية، لكـن موسـى ? كان على أتم اليقين، ولهذا أجابهم بأسلوب مفعم باليقين كما يظهر من الآية، حيث عُبر فيها بـ«إنّ» التوكيدية ? إن مَعِيَ رَبي سَيَهْدِينِ ?، وبالتالي فإنّ هذا النموذج من الهدى الذي تجلى فيه اليقين بأعلى صوره، كان مؤدّاه الفلاح، حيث

قال تعالى:
? وَأَنجَيْنَا مُوسَى وَمَن مَعَهُ أَجْمَعِينَ ?
والفلاح في هذه التجربة وفي تجربة نبي الله إبراهيم ? يعني النجاح والعاقبة الحسنة، التي يتوّلد عنها السعادة بشكل طبيعي.. وكل تجربة من هذه التجارب المذكورة وغيرها تبّين جهة من الفكرة العامة، فالآيات التي عرضت الجنبة النظرية لهذه الفكرة، اكتفت بالعرض العام الذي يؤكد أنّ أحد طرق الفلاح والسـعادة يتمثل
في الهداية، أمّا الآيات التي عرضت الجنبة العملية، فقد جاءت بمصاديق جزئية يركز كل منها على طرف من الفكرة، فتجربة إبراهيم الخليل ? تركز على طرف واقعي
انتهى بالفلاح في مشكلة جزئية، وتجربة موسى الكليم ? تركز على طرف آخر انتهى
أيضاً بالفلاح في مشكلة جزئية أخرى، وهكذا سائر التجارب، وفي النهاية فإنها بأجمعها تنتهي عند نتيجة واحدة، و هي أنّ الهدى والرشاد العقلي الذي يستمد قوته
من الله سبحانه والمتحلّي باليقين، مؤدّاه النجاح والعاقبة الحسنة، وهي أحد رموز السعادة.
بعد كل ذلك ننتهي إلى هذه النتيجة التي تشكّل الرؤية القرآنية للسعادة، فالسعادة في النظر القرآني تتحقق بالسلامة الروحية التي تتمثل في الإيمان، والرشاد العقلي الذي يتمثل في الهدى .. فهذان المحوران يشكّلان جوهر السعادة، وما عداهما من أطراف ومؤثرات تعود إليهما.
عوائق السعادة

زيادة في التأكيد على الطرق الحقيقية لتحصيل السعادة، وحتى لا يشط الإنسان في
اختياره للطرق، سلكت الآيات القرآنية طريقاً آخر، وذلك بإبراز مـا ينـاقض الإيمان
والهدى، بالذات في الـالات التي قد يميل إليها الإنسان في حياته العملية،
بمعنى أنّ الآيات لم تكتف باستعراض الجانب الإيجابي والتدليل عليه بالتجارب
الحياتية، وإنما اهتمت باستعراض الجانب السلبي على النحو النظري والعملي ..
وذلك لإبراز هذه الحقيقة أمام المؤمن، ورفع كل أنواع الغموض عنها.
فما هي عوائق السعادة؟
1 - الخلل الروحي (الذنب).
لا يوجد إنسان على وجه هذه الأرض إلاّ وهو يبحث عـن السـعادة، فهـي المشروع الذي
لا يمكن أن يتكبّر عليه أحد أو يتجاوزه.. إلاّ أنّ أغلب البشر عادة لا يحسنون
اختيار الطريق، فيتيهون في مسيرة الحياة، وبالتالي تكون التعاسة والشقاء
النتيجة الطبيعية التي يحرزوها.
وواحد من أسباب هذا التيه والضياع، أنّ لكل إنسان أهواءً وشهوات عاجلـة، وعندما
تبرز هذه الأهواء وتتفاعل في داخل الإنسان، غالباً ما يعتقد أنّ التنفيس عنها
وإطلاق العنان لها هو الطريق الأقصر نحو السعادة، بينما الأمر خلاف ذلك تماماً،
فالشهوات في كثير من الأحيان تفقد الإنسان اتزانه وتدفعه نحو الخطأ والتجرؤ،
وهو ما يصطلح عليه بالذنب، والذنوب إذا تراكمت في داخل قلب الإنسـان، تفقده أغلى
شيء عنده وهو السعادة، وذلك يأتي تدريجياً ومن حيث لا يشعر الإنسان .

وقد روى الكليني في الكافي: (إذا أذنب الرجل خرج في قلبه نكتة سوداء، فـإن تاب
انمحت، وإن زاد زادت حتى تغلب على قلبه، فلا يفلح بعدها أبداً).( )
كما ورد عن أمير المؤمنين ?: (من أجهد نفسه في إصلاحها سعد، ومن أهمـل نفسه شقي
وبعُد).( )
وورد عنه أيضاً: (لا يسعد امرؤٌ إلاّ بطاعة الله سبحانه، ولا يشقى امرؤٌ إلاّ بمعصية الله).( )
فالذنب هو عبارة عن تمادي الإنسان في التعبير غير الصـحيح عـن الأهـواء والشهوات
واللذات العاجلة، وهذا التمادي لايقود إلاّ إلى الشقاء؛ لأنّ النفس فُطِرَتْ
على استعدادت خاصة، فليس كل امرئ يحقق لها السعادة، وإن تصوّر الإنسـان في حالة
من الطغيان والجهل جدوائية أمر ما، ومن تلك الأمور الخاطئة ما تترجم علـى هيئة
ذنوب.
هذا ما صرّحتْ به الآيات القرآنية المباركة في العديد من السور، فقد قال تعالى:
? قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكاهَا ? وَقَدْ خَابَ مَن دَساهَا ?( ).
? قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكى ?( ).
فالذي يطهّر نفسه من الذنوب يفلح ويسعد، أما من يدعها حتى تعشعش فيهـا الأمراض
بسبب الذنوب، فلاحظ لـه في الفلاح والسعادة.
ولهذا تأتي آية مباركة صريحة تحث الإنسان على التوبة والتطهّر من الذنوب حتى

يحقق الفلاح، حيث يقول سبحانه وتعالى:
? وَتُوبُوا إلى الله جَمِيعًا أَيهَا الْمُؤْمِنُونَ لَعَلكُمْ
تُفْلِحُونَ ?( ).
1- ولكن الإنسان يخضع لنفسه كثيراً، ولهذا قد توهم لـه نفسه طرقاً معينة، وتحركه نحوها، لكن ليس لها نهاية غير الشقاء، لهذا تفتح الآيات المباركة ذهنية الإنسان على بعض المسائل التي قد يتمسّك بها باعتقاد أن لها أثراً في الترويح عن نفسه، وهي خلاف ذلك، فتحذّره من الانجراف وراءها، فقد قال تعالى:
?يَا أَيهَا الذِينَ آمَنُواْ إنمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ
وَالأَنصَابُ وَالأَزْلاَمُ رِجْسٌ منْ عَمَلِ الشيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ
لَعَلكُمْ تُفْلِحُونَ ? إنمَا يُرِيدُ الشيْطَانُ أَن يُوقِعَ
بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ
وَيَصُدكُمْ عَن ذِكْرِ الله وَعَنِ الصلاَةِ فَهَلْ أَنتُم
منتَهُونَ ?( ).
فقد يتوهم الإنسان أنّ الخمر ولعب القمار وما أشبه أُمور لها أثر الترويح عن النفس، ولذلك يسارع نحوها، ولكنه طريق نحو الشقاء لما تتضمنه من أُمور سيئة لا
يراها الإنسان في الوهلة الأُولى عادة، ولهذا نبهّت الآيات لذلك، وبّينت بعض المساوئ الحقيقية التي تختفي خلف هذه الأعمال والممارسات، وأكدت على أنها ليست
سوى ذنوب، ولابد لكل باحث عن السعادة أن يتجنّبها لعله يفلح ويسعد:
? فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلكُمْ تُفْلِحُونَ ?.
والخمر والميسر والأغصاب والأزلام ما هي إلاّ مصاديق للذنوب، وإنما خصّتها الآية بالذكر لبعض الأهداف المهمة، وإلاّ فالمناط الأساسي هو الذنب، فالإنسان

لابد أن يتخلّص من الذنوب حتى ينال الفلاح والسعادة.
هذا على مستوى التأكيد النظري، إلاّ أنّ الآيات المباركة لا تكتفي بذلك، وإنما تتجه نحو التجارب الحياتية وتستعين بها، باعتبار أنّ الإنسان يتأثر غالباً بالتجربة العملية الواقعية أكثر مما يتأثر بالخطاب النظري.. وقد جاءت لنا الآيات بالعديد من التجارب على المستوى الإيجابي والسلبي، تجارب تبّين أنّ التطهرّ من الذنب يؤدي إلى الفلاح، وتجارب أخرى تبينّ كيف أنّ الإصرار على الذنب لا ينتهي إلاّ بالشقاء والتعاسة.

القرية الآمنة: من السعادة إلى الشقاء

من خلال هذه التجربة يضرب لنا الباري جلّ وعلا مثالاً مهماً من واقع الحياة، وهو يناقش قضية جزئية، حيث أصرّ قوم من الأقوام على ذنب معـيّن يتعلـق بالنعمة،
وهو مصداق للمعنى العام (الذنوب)، وكانت النتيجة الطبيعية لهذا الإصرار ضياع السعادة بكل أوجهها، كما سيظهر لنا ذلك جلّياً من العرض القرآني الدقيق لهذه التجربة، فقد قال تعالى:

? وَضَرَبَ الله مَثَلاً قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مطْمَئِنةً يَأْتِيهَا
رِزْقُهَا رَغَدًا من كُل مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ الله فَأَذَاقَهَا
الله لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُواْ يَصْنَعُونَ ?( ).

وقد ورد في تفسير هذه الحادثة العديد من الروايات، نقل بعضها علي بن إبراهيم القمي، وبعضها البرقي، وبعضها العياشي في تفسيره، وزيادة في إيضـاح هـذه التجربة
سنذكر سائر الروايات؛ لأنّ كلاً منها يشير إلى جهة، ومع التأمل فيها جميعاً تتكامل الصورة..

فقد جاء في تفسير القمي: قال: نزلت في قومٍ كان لهم نهر يقال له: الثلثان

-الثرثار- وكانت بلادهم خصبة كثيرة الخير، وكـانوا يسـتنجون بـالعجين ويقولون: هذا
ألين، فكفروا بأنعم الله، واستخفوا بنعمة الله، فحبس الله عليهم الثلثان
فجدبوا، حتى أحوجهم الله إلى أكل ماكانوا يستنجون به حتى كانوا يتقـاسمون عليه(
).
وجاء في المحاسن للبرقي عن أبيه عن محمد بن سنان عن أبي عيينة، عن أبي عبـد الله
? قال: إنّ قوماً وسّع الله عليهم في أرزقاهم حتى طغوا واستخشنوا الحجارة،
فعمدوا إلى النقي فصنعوا منه كهيئة الأنار فجعلوه في مذاهبهم، فأخذهم الله
بالسنين، فعمدوا إلى أطعمتهم فجعلوها في الخزائن، فبعث الله على ما في الخزائن
ما أفسده، حتى احتاجوا إلى ما يستنجون به في مذاهبـهم، فجعلـوا يغسـلونه ويأكلونه.
وفي حديث أبي بصير قال: نزلت فيهم هذه الآية ? وَضَرَبَ الله مَثَلاً قَرْيَةً
كَانَتْ آمِنَةً مطْمَئِنَةً ?( ).
وفي تفسير العياشي عن حفص بن سالم عن أبي عبد الله ? قال: إن قوماً في بني
إسرائيل يؤتى لهم من طعامهم حتى جعلوا منه تماثيل بمدن كانـت في بلادهـم يستنجون
بها، فلم يزل الله بهم حتى اضطروا إلى التماثيل يتبعونها ويأكلونها وهو قول
الله: ? وَضَرَبَ الله مَثَلاً قَرْيَةً ... ?( ).
كما روى العياشي عن زيد الشحّام عن أبي عبد الله ? قال: كان أبي يكـره أن يمسح
يده بالمنديل وفيه شيء من الطعام تعظيماً لـه إلاّ أن يمصّها أو يكون إلى جانبه

صبي فيمصّها، قال: وإني أجد اليسير يقع في الخوان فأتفقدّه فيضحك الخادم، ثم قال: إنّ أهل قرية ممّن كان قبلكم كان الله قد وسّع عليهم حتّى طغوا، فقال بعضهم لبعض: لو عمدنا إلى شيء من هذا النقي فجعلناه نستنجي به كان ألين علينا
من الحجارة، قال: فلما فعلوا ذلك بعث الله على أرضهم دواب أصغر من الجراد فلم
يدع لهم شيئاً خلقه الله إلا أكله من شجر أو غيره، فبلغ بم الجهد إلى أن أقبلوا على الذي كانوا يستنجون فأكلوه، وهي القرية التي قال الله تعالى: ? وَضَرَبَ الله مَثَلاً قَرْيَةً ... ?( ).
ويظهر من خلال الجمع بين الروايات، أنّ هذه القرية كانت محسوبة على بني إسرائيل، وأنم كانوا يجمعون العجين كهيئة الانار ويجعلونه على هيئة تماثيل أيضاً، ثم يستنجون به والعياذ بالله، فحبس الله عنهم نر الثلثان - الثرثار - وبعث عليهم دواب أصغر من الجراد، فأكلت كل شيء حتى الذي ادخـروه في الخزائن،
وإن كان يفهم من رواية المحاسن أنّ الذي أفسد ما في الخزائن شيء آخر بعثه الله تعالى غير هذه الدواب، ولما تلف وزال كل ما عندهم من النعم، لجأوا إلى مـا كانوا
يستنجون به وتقاسموه فيما بينهم ليأكلوه.
فهؤلاء القوم ارتكبوا ذنباً من نوع خاص، وكانت عاقبتهم أن فقدوا السعادة التي كانوا يعيشونا:
? كَانَتْ آمِنَةً مطْمَئِنةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا ?.
ولم يحصلوا إلاّ على الشقاء والخيبة:
? فَأَذَاقَهَا الله لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُواْ يَصْنَعُونَ

?.
فقد كانوا في أمن، فلا شيء يخوّفهم فبسبب توفر النعم انعدمتُ السرقة والجرائم وأشباههما..
وكانوا يعيشون في حالة من الاطمئنان والاستقرار التام، فلا حزن ولا قلق ولا غيرهما، باعتبار أنّ الرزق إذا توفّر انشرح قلب الإنسان وتجاوز بسببه أكبر همّ عنده، هذا والرزق يأتيهم من كل مكان ..
فهذه السعادة فقدوها وضّيعوها بسبب الذنوب، وإذا بالرزق الواسع يّتحول إلى جوع،
وإذا بالأمن والاطمئنان يتحوّل إلى خوف، كل ذلك ? بِمَا كَانُواْ يَصْنَعُونَ ?
من الذنوب والمعاصي.
إنّ هذه التجربة الرائعة تبّين لنا بوضوح دور الذنب في قيادة نحو الشقاء، وأنه من أعدى أعداء السعادة، مع أنّ الإنسان يّتصور في لحظة أنّ سعادته تكمن فيـه
ـ
الذنب - ولهذا يصرّ عليه، فينتهي به بشكل طبيعي إلى التعاسة والشقاء، ولو أنّ الإنسان تدارك نفسه وتطهرّ من الذنوب لحصّل السعادة، كما حصل ذلك مـع قوم يونس،
حيث قال تعالى عنهم:
? فَلَوْلاَ كَانَتْ قَرْيَةٌ آمَنَتْ فَنَفَعَهَا إِيمَانُهَا إِلا قَوْمَ
يُونُسَ لَمآ آمَنُواْ كَشَفْنَا عَنْهُمْ عَذَابَ الخِزْيِ فِي الْحَيَاةَ
الدُّنْيَا وَمَتَّعْنَاهُمْ إِلى حِينٍ ?( ).
وقال سبحانه في آية أُخرى:
? وَأَرْسَلْنَاهُ إِلى مِئَةِ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ ? فَآمَنُوا
فَمَتَّعْنَاهُمْ إِلى حِينٍ ?( ).

وقد توقفت عند هذه الحادثة مسبقاً، إلاّ أنني أهملتُ هذه الجهة من التجربة رغبة في التعرض لها في هذا الشق من البحث.

فقوم يونس أذنبوا ذنباً كبيراً عندما عصوا نبيهم ?، وكاد ذنبهم أن يوقعهم في الشقاء والخسران، لولا أنم تابوا وفزعوا إلى الله سبحانه وتعالى، فقادهم إيمانم إلى السعادة الحقيقية.

وذلك لما شاور يونس ? العابد تنوخا والعالم روبيل في أمرهم بعـد أن عصـوا، فأشار

عليه تنوخا بالدعاء عليهم، واستمهله روبيل، بعمل بمشورة تنوخا ودعا عليهم..

(فانطلق: يونس ومعه تنوخا من القرية وتنحّيا عنهم غير بعيد، ورجع يـونس ? إلى

قومه وأخبرهم أنّ الله أوحى إليه أن يـ ل العذاب عليكم في شـوال في وسـط الشهر

بعد طلوع الشمس، فردّوا عليه قولـه وكذّبوه وأخرجوه من قريتهم إخراجـاً عنيفاً.

فخرج يونس? ومعه تنوخا من القرية وتنحّيا عنهم غير بعيد وأقامـا ينتظـران العذاب.

وأقام روبيل مع قومه في قريتهم، حتى إذا دخل عليهم شوّال، صرخ روبيل بأعلى صوته

في رأس الجبل إلى القوم: أنا روبيل شفيق عليكم رحيم بكم، وهذا شـوال قـد دخل

عليكم، وقد أخبركم يونس نبيكم ورسولكم أنّ الله أوحى إليه أنّ العذاب يـ ل

عليكم في شوال في وسط الشهر يوم الأربعاء بعد طلوع الشمس، ولن يخلف الله وعده

ورسوله، فانظروا ما أنتم صانعون؟ فافزعهم كلامه ووقع في قلوبهم تحقيق نزول العذاب. فأتوا نحو روبيل وقالوا لـه: ما تشير علينا يا روبيل فإنك رجل عالم حكيم لم نزل نعرفك بالرأفة علينا والرحمة لنا، وقد بلغنا ما أشرت به على يونس فينا، فمرنا بأمرك وأشر علينا برأيك، فقال لهم روبيل:

فإني أرى لكم وأشير عليكم أن تنظروا إذا طلع فجر يوم الأربعاء في وسط الشهر أن

تعزلوا الأطفال عن الأُمهات في أسفل الجبل في طريق الأودية وتُوقفوا النساء في سفح الجبل ويكون هذا كله قبل طلوع الشمس، فإذارأيتم ريحاً صفراء أقبلت من المشرق فعجّوا عجيج الكبير منكم والصغير بالصراخ والبكاء والتضرع إلى الله والتوبة إليه، وارفعوا رؤوسكم إلى السماء: وقولوا: ربنا ظلمنا أنفسنا وكذبنا نبينا وتبنا إليك من ذنوبنا وإن لم تغفر لنا ولا ترحمنا لنكونن من الخاسرين المعذبين، فاقبل توبتنا وارحمنا يا أرحم الراحمين، ثم لا تملوا من البكاء

والصراخ والتضرّع إلى الله حتى تتوارى الشمس بالحجاب ويكشف الله عـنكم العذاب

قبل ذلك. فأجمع رأي القوم جميعاً على هذا.

فلما كان يوم الأربعاء الذي توقعوا العذاب، تنحى روبيل من القرية حيث يسمع صراخهم ويرى العذاب إذا نزل. فلما طلع الفجر يوم الأربعاء، فعل قوم يـونس ما

أمرهم روبيل، فلما بزغت الشمس أقبلت ريح صفراء مظلمة لها صرير وحفيف وهدير.

فلما رأوها عجّوا جميعاً بالصراخ والبكاء والتضرّع إلى الله وتابوا إليه وصرختْ الأطفال بأصواتها تطلب أُمهاتها، وعجّت سخال البهائم تطلب اللبن، وعجـت الأنعام

تطلب المرعى.
فلم يزالوا بذلك، ويونس وتنوخا يسمعان صيحتهم وصراخهم، ويـدعوان الله عليهم
بغليظ العذاب، وروبيل في موضعه يسمع صراخهم وعجيجهم ويرى مـا نـزل وهو يدعو الله
بكشف العذاب عنهم.
فلما أن زالت الشمس وفتحت أبواب السماء وسكن غضـب الـرب تعـالى، فاستجاب دعاءهم
وقبل توبتهم..... فلما رأى قوم يونس أن العذاب قد صرف عنهم، هبطوا مـن رؤوس
الجبال إلى منازلهم ضمّوا إليهم نساءهم وأولادهم وأموالهم وحمدوا الله على ما صرف عنهم).( )
وقد ورد عن الامام الباقر ?: إنّ العذاب نزل على قـوم يـونس حـتى نـالوه برماحهم،
فلبسوا المسوح والصوف ووضعوا الحبال في أعناقهم والرماد علـى رؤوسـهم وضجّوا ضجّة
واحدة إلى ربهم وقالوا: آمّنا بإله يونس، فصرف الله عنهم العـذاب إلى جبـال آمد.(
)
إنّ قوم يونس لما تابوا إلى الله عز وجل من ذنوبهم، وتمسكوا بالإيمان حصلوا على
الفلاح والسعادة، وأول السعادة برفع العذاب عنهم ? كَشَفْنَا عَنْهُمْ عَذَابَ
الْخِزْيِ فِي الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ?، وثانيها باشعارهم بالمتعة في حياتهم حتى
الموت ? وَمَتَّعْنَاهُمْ إلى حِينٍ ?.

فتجربة القرية كانت دليلاً على أثر الذنب في الشقاء، وتجربة قوم يونس كانت دليلاً على أثر التوبة من الذنب في السعادة.

وهناك تجارب عديدة ذكرتنا الآيات المباركة تقع في طريق إثبات هذه الحقيقة المهمة..... لهذا نقول: إنّ من العوائق المهمة التي تحجب الإنسان عن السعادة، وتحول بينه وبينها، الذنوب التي تتراكم عليه. بسبب أفعاله المنفعلة بأهوائه وشهواته، فهي تشكل خللاً في الروح، وهو ما عبّرتْ عنه الرواية السابقة الذكر بالنكتة السوداء، التي كلما زادت تنامى الخلل في روح الإنسان وقلبه، الامر الذي ينتهي بطبيعة الحال إلى الشقاء (فلا يفلح بعدها أبداً).

2 - الاعتماد المطلق على المادة .

من الطرق الوهمية التي يسلكها غالب البشر اعتقاداً منهم بجدوائيتها في تحقيق الفلاح والسعادة "المادة"، المادة بمعناها الواسع، من الأموال والمساكن والجاه وما إلى ذلك.. ولهذا فإنم يصرّون على التمسك با وتسخير حياتم كلها مـن أجلها،

لكنها في الحقيقة لا تشكلّ العمق المكوّن للسعادة.

بل الاقتصار في الاعتماد عليها قد يقود الإنسان إلى الشقاء، وقد حذّرتنا الآيات القرآنية من ذلك، فهي لم تنهنا عن الاستفادة من المادة بالمستوى المعقول، وإنما نتنا عن الالتهاء با، حيث قال تعالى:

?يَا أَيهَا الذِينَ آمَنُوا لا تُلْهِكُمْ أَمْوَالُكُمْ وَلا أَوْلادُكُمْ عَن ذِكْرِ الله وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ?( ).

واللهو في الآية بمعنى الاشتغال، أي لا تشغلكم المادة عن الأمور الحقيقية.

ولماذا ينشغل با الإنسان؟

لانه يعتقد ان سعادته فيها، فيتمحّض في حبّها، ولا يعتمد إلا عليها.

وماذا ستكون النتيجة آنئذ؟
? وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ?.
إن التمحّض في الاعتماد على المادة، لا يؤدي إلاّ إلى الشقاء والتعاسة.
إذاً ما هو الطريق الصحيح الذي ترشدنا إليه الآيات:
? ذِكْرِ الله ?.
أي الايمان، وهو نفس ما أكّدت عليه الآيات المباركة عند حديثها عن أثر الذنب في
فقدان السعادة:
? وَتُوبُوا إِلَى الله جَمِيعًا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ
تُفْلِحُونَ ?( ).
فالآيات المباركة حين حذرتنا من الذنب والالتهاء بالمادة، باعتبار عدم
جدوائيتهما في تحصيل السعادة، في نفس الوقت صحّحت الفهم لنـا، وذلـك بإرشادنا إلى
الطرق الصحيحة للسعادة، ودائماً يكون الايمان هو الكفيل بتحقيقها.
لكن المادة ضغطها قوي، وليس من السهولة التغلّب عليها، لهذا احتاج الإنسـان إلى
مقاومة مستمرة، فإن نجح في التغلب عليها استطاع أن يظفر بالسـعادة، يقـول تعالى:
? وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ?( ).
أي من يتجنّب البخل بالأمور المادية، يستطيع تحصيل الفلاح .. وذلك كناية عن
المبالغة في الاعتماد على المادة من أجل تحصيل السعادة، والآية تؤكد على أنّ
ذلك مؤداه الشقاء، والسعادة الحقيقية تتوقف على تجاوز هذا الضغط الكبير..
ولأن هذا التوجيه النظري صعب على الإنسان، بل الغالب أنه يخالف حتى خياله،

باعتبار أنه يعتقد خلاف ذلك، عمدت الآيات القرآنيـة إلى التمثيـل بـ بعض التجارب
الواقعية، كتجربة قارون وتجربة صاحب الجنة وكثير غيرها.
قارون وثروته: المادة والشقاء
جاءت تجربة قارون لتكون مثالاً قوياً يهدي الإنسان إلى عدم جدوائية المادة مهما بلغت من السعة في تحقيق السعادة وأنّ الإيمان هو السبيل الصحيح لتحقيقهـا، وهذا
ما ينبغي أن يهتم به الإنسان، فقد قال الله تعالى:
? إن قَارُونَ كَانَ مِن قَوْمِ مُوسَى فَبَغَى عَلَيْهِمْ وَآتَيْنَاهُ
مِنَ الْكُنوزِ مَا إن مَفَاتِحَهُ لَتَنُوءُ بِالْعُصْبَةِ أُولِي
الْقُوةِ إِذْ قَالَ لَهُ قَوْمُهُ لا تَفْرَحْ إن الله لا يُحِب
الْفَرِحِينَ ? وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ الله الدارَ الْآخِرَةَ وَلا تَنسَ
نَصِيبَكَ مِنَ الدنْيَا وَأَحْسِن كَمَا أَحْسَنَ الله إِلَيْكَ وَلا تَبْغِ
الْفَسَادَ فِي الْأَرْضِ إن الله لا يُحِب الْمُفْسِدِينَ ? قَالَ
إنمَا أُوتِيتُهُ عَلَى عِلْمٍ عِندِي أَوَلَمْ يَعْلَمْ أن الله قَدْ
أَهْلَكَ مِن قَبْلِهِ مِنَ الْقُرُونِ مَنْ هُوَ أَشَد مِنْهُ قُوةً
وَأَكْثَرُ جَمْعًا وَلا يُسْأَلُ عَن ذُنُوبِهِمُ الْمُجْرِمُونَ ? فَخَرَجَ
عَلَى قَوْمِهِ فِي زِينَتِهِ قَالَ الذِينَ يُرِيدُونَ الْحَيَاةَ الدنيَا
يَا لَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَا أُوتِيَ قَارُونُ إِنهُ لَذُو حَظ عَظِيمٍ ?
وَقَالَ الذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَيْلَكُمْ ثَوَابُ الله خَيْرٌ لمَنْ
آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا وَلا يُلَقاهَا إلا الصابِرُونَ ? فَخَسَفْنَا
بِهِ وَبِدَارِهِ الْأَرْضَ فَمَا كَانَ لَهُ مِن فِئَةٍ يَنصُرُونَهُ مِن
دُونِ الله وَمَا كَانَ مِنَ المُنتَصِرِينَ ? وَأَصْبَحَ الذِينَ تَمَنوْا

مَكَانَهُ بِالْأَمْسِ يَقُولُونَ وَيْكَأَن الله يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن
يَشَاء مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَوْلا أن من الله عَلَيْنا لَخَسَفَ
بِنَا وَيْكَأَنَّهُ لا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ ?( ).
في عجز هذه الآيات المباركة جاءت النتيجة النهائية للاعتماد المطلق على المادة وتناسي الإيمان، وهي الشقاء والتعاسة:
? وَيْكَأَنَّهُ لا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ ?.
وذلك - كما هو واضح في الآيات - أنّ قارون لمّا اجتمعت عنـده الأمـوال وتراكمت
الثروة، انشغل بها عن العبادة، وبغى على قومه وتكّبر، حتى إنّ موسى ? كـان يأتيه
ويدعوه لمشاركة قومه في الدعاء، لأنه كان من أحسنهم صوتاً فيمتنع، فقد جاء في
تفسير علي بن ابراهيم: (لمّا خرج موسى ? ببني إسرائيل من مصر وأنزلهم البادية، فكانوا يقومون من أول الليل ويأخذون في قراءة التوراة والدعاء والبكاء، وكان قارون منهم، وكان يقرأ التوراة ولم يكن فيهم أحسن صوتاً منه، وكان يسـمى المنون
لحسن قراءته، وكان يعمل الكيمياء، فلما طال الأمر على بني اسرائيل في التيه والتوبة، وكان قارون قد امتنع من الدخول معهم في التوبة، وكان موسى ? يحّبه فدخل عليه موسى فقال لـه: يا قارون قومك في التوبة وأنت قاعـد هاهنـا، ادخل معهم
وإلاّ نزل بك العذاب، فاستهان به واستهزأ بقوله).( )
وصار قارون يتباهى بثروته أمام قومه، فقد خرج عليهم في أربعـة آلاف دابـة عليها

أربعة آلاف فارس عليهم وعلى دوابهم الأرجوان، وقيل: خرج في جوارٍ بـيض على سرج
من ذهب على قطف أرجوان على بغال بيض عليهن ثياب حمر وحلي من ذهب، وقيل خرج في
سبعين ألفاً عليهم المعصفرات.( )
فلما رآه قومه على هذه الحالة، قال بعضٌ من ضّيقي النظر:
? قَالَ الذِينَ ُيرِيدُونَ الْحَيَاةَ الدنَيا َيا لْيتَ لَنا ِمثْلَ
مَا أُوِتيَ قَاُرونُ ? معتقدين أن هذا هو طريق السعادة... لكن المؤمنين من
ثاقبي النظر العارفين بالسنن، لم تدهشهم تلك المناظر الخلاّبة وتخرجهم عن
توازنهم، وإنما أخذوا ينّبهون الناس إلى عدم جدوائية هذه الطرق، ويشيرون إلى
الطريق الصحيح الذي ينبغي لهم اتباعه إن كانوا ينشدون السعادة والفلاح:
? وَقَالَ الذِينَ أُوُتوا الْعِلْمَ َويْلَكُمْ ثَوَابُ الله خَْيرٌ لمَنْ
آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ?.
فالإيمان هو الطريق الصحيح نحو السعادة، والمادة على الخلاف من ذلك تماماً،
فالانشغال بها على حساب الإيمان لا يؤدي بالإنسان إلاّ إلى الشقاء ،كما كان
مصير قارون تماماً:
? فَخَسَفْنَا بِهِ وَبِدَارِهِ الأَْرضَ ?.
فالله سبحانه وتعالى وللتأكيد على عدم جدوائية المادة، لم يخص قارون بالخسف،
وإنما أباده وأباد داره معه، والدار كناية عن ثروته، مع أنّ الثروة لا ذنب لها،
لكن ليبقى الإيمان وحده ماثلاً أمام المؤمنين...
آنئذ تنّبه ضعاف النفوس إلى حقيقة المادة، وآثر الإيمان، فأخذوا يرددون قائلين:
? َويْكَأَن الله َيبْسُطُ الرزْقَ ِلمَن َيشَاء ِمنْ عِبَادِهِ وََيقْدِرُ
لَوْلا أن من الله عَلَْينَا لَخَسَفَ بِنَا َويْكَأَنهُ لا ُيفْلِحُ

الْكَافِرُونَ ؟.
إذاً فالمادة لا تب الإنسان السعادة الحقيقية، نعم يمكن ُتشْعِر الإنسان بنشوة عاجلة، ولكن سرعان ما تنجلي وتتقشّع، وهذا نّبهتْ إليه الآيات على لسان قوم قارون:
؟ إِذْ قَالَ لَهُ قَوْمُهُ لا َتفْرَحْ إِن الله لا ُيحِب الْفَرِحِينَ ؟.
فالفرح كما أسلفنا عبارة عن لذّة عاجلة لا سعادة دائمة، وهو ما حصـل مـع قارون
فعلاً..
ولا يعني ذلك عدم جدوائية المادة بنحو مطلق، فالإنسان بإمكانه أن يستفيد منها بمستوى لا يفقده توازنه وينسيه إيمانه؛ لأنه إن أضاع الإيمان فقد السعادة، وإذا فقد السعادة لم يشعر بلذّة للمادة، فالمادة إنما يأنس با السعيد، وأما الشقي فلا يحس لها طعماً:
؟ وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ الله الدارَ الْآخِرَةَ وَلا َتنسَ َنصِيَبكَ مِنَ الدنْيا ؟.
هكذا يوّجهنا القرآن نحو السعادة .. فالمادة ليست هي الطريق الصحيح نحو السعادة، كما قد يتصوّر غالبية البشر، وإنما الطريق الصحيح نحوها يتمثّل في أمرين: (الايمان، والهدى)، وكي يتكامل هذان الأمران عند الإنسان، فلا بد لـه من
التطهرّ من الذنوب والآثام..
هذه هي خلاصة الرؤية القرآنية التي أحببتُ أن أضعها أمـام القـارئ لسـببين مهمين:
1 - حتى يدرك الطريق الصحيح للسعادة التي ينشدها؛ لأنه قد يسـلك طرقـاً خاطئة

تفرضها عليه الظروف والبيئة الزمانية والمكانية التي يعايشها..

لأن البيئة بما تحمل في طياتها من وسائل دعائية مغرية قد تصوّر للإنسان طرقاً وهمية على أنها أنجع الطرق التي تقوده للسعادة، في حين قد تكون أفشل الطرق، ولهذا من البداية ينبغي أن يميّز بين الطرق.

2 - حتى تكون هذه الرؤية الأرضية التي يتحرّك بها كلما أراد أن يقرأ ما يواجهه في حياته، فيما يرتبط بهذا المشروع المهم، فالرجوع إليها يعطي الإنسان استقراراً في الرؤية ودقة في الموقف.

وفي هذا الصدد تقفز إلى السطح العديد من الممارسات والبرامج التي تصوّر على أنها ذات جدوى في تحصيل الفرح والسعادة للإنسان، لمدخليتها في الترويح عن النفس، كاللهو واللعب والغناء وما أشبه...

فأيها يمكن أن يقبله الإنسان، وأيها ينبغي رفضه؟

أيها يتناسب مع الرؤية القرآنية، وأيها لا يتناسب؟

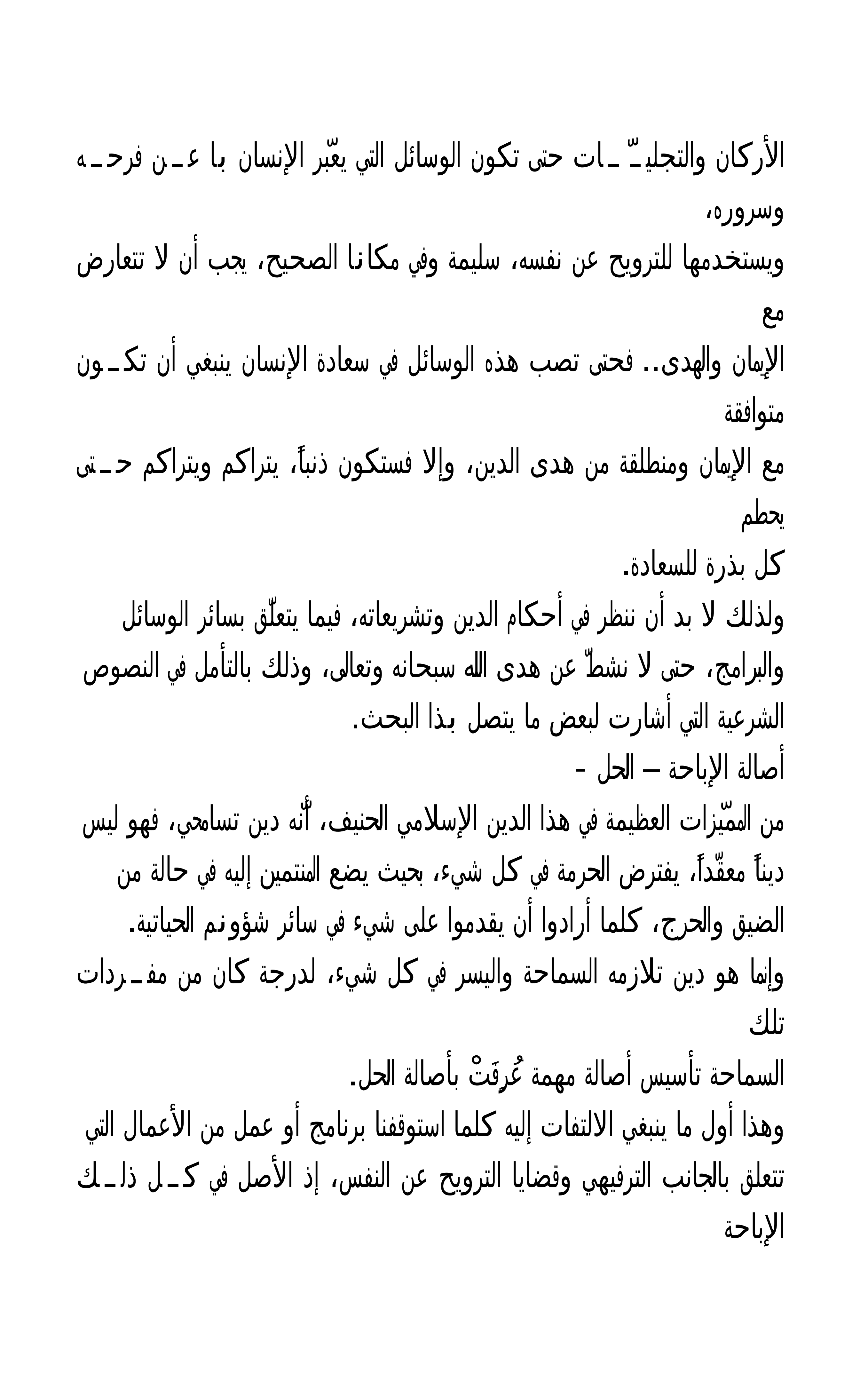
ما هي الأحكام والتشريعات المتعلّقة بمثل هذه الممارسات والبرامج؟

هذا ما سننظر فيه على نحو الاختصار في الفصل الثاني.

الفصل الثاني :

وسائل الترفيه:

أحكام وتشريعات


الأركان والتجليـّـات حتى تكون الوسائل التي يعبّر الإنسان بها عـن فرحـه
وسروره،
ويستخدمها للترويح عن نفسه، سليمة وفي مكانها الصحيح، يجب أن لا تتعارض
مع
الإيمان والهدى.. فحتى تصب هذه الوسائل في سعادة الإنسان ينبغي أن تكـون
متوافقة
مع الإيمان ومنطلقة من هدى الدين، وإلا فستكون ذنباً، يتراكم ويتراكم حـتى
يحطم
كل بذرة للسعادة.
ولذلك لا بد أن ننظر في أحكام الدين وتشريعاته، فيما يتعلّق بسائر الوسائل
والبرامج، حتى لا نشطّ عن هدى الله سبحانه وتعالى، وذلك بالتأمل في النصوص
الشرعية التي أشارت لبعض ما يتصل بهذا البحث.
أصالة الإباحة – الحل -
من المميّزات العظيمة في هذا الدين الإسلامي الحنيف، أنّه دين تسامحي، فهو ليس
ديناً معقّداً، يفترض الحرمة في كل شيء، بحيث يضع المنتمين إليه في حالة من
الضيق والحرج، كلما أرادوا أن يقدموا على شيء في سائر شؤونهم الحياتية.
وإنما هو دين تلازمه السماحة واليسر في كل شيء، لدرجة كان من مفـردات
تلك
السماحة تأسيس أصالة مهمة عُرِفَتْ بأصالة الحل.
وهذا أول ما ينبغي الالتفات إليه كلما استوقفنا برنامج أو عمل من الأعمال التي
تتعلق بالجانب الترفيهي وقضايا الترويح عن النفس، إذ الأصل في كـل ذلـك
الإباحة

والحل، إلاّ ما ثبتت حرمته بالدليل الخاص أو العام.
فتارة نعلم بحلية عمل ما فنحكم بحليته، وتارة نعلم بحرمة عمل ما فنحكم بحرمته، وتارة نشك هل هو حرام أم حلال، فعلينا أن نفحص بالذات إذا كانت الشبهة حكمية ـ
واختلف في ا لشبهة الموضوعية وإن كان المشهور عدم وجوب الفحـص إلاّ في الدماء
والأعراض وأضاف بعض الأموال ـ، فإن لم نظفر بدليل يدل على الحرمة، أو لم نتيقن
الحرمة في موضوع ما، فيمكننا آنئذٍ أن نتمسك بأصاله الحل.
ومؤدى هذه الأصالة بالنسبة لما نحن فيه أنّ كل شيء من الأعمـال الخارجيـة حلال،
إلاّ إذا عُلِمَتْ حرمته بدليل خاص أو عام..
ومستند هذه الأصالة - بالإضافة إلى استصحاب الحلية، وأصالة براءة الذمة من التكاليف - عدة روايات فيها المعتبر من الجهة السندية، وفيها المقبـول، وقـد خضعت
هذه الروايات لتحليل دقيق عند علماء الأُصول، والاختلاف لم يقـع في ثبوتـا بقدر
ما وقع في سعتها وضيقها.
فقد روى الشيخ محمد بن علي بن الحسين بن بابويه بإسناده( ) عن الحسن بـن محبوب
عن عبد الله بن سنان عن أبي عبد الله ? قال: (كل شيء فيه حلال وحرام فهـو لك
حلال أبداً حتى تعرف الحرام منه بعينه فتدعه)( ).

كما روى الشيخ محمد بن يعقوب الكليني عن علي بن ابراهيم عن هارون بـن
مسلم عن
مسعدة بن صدقة عن أبي عبد الله ? قال: سمعته يقول: (كل شيء لـك حـلال
حتى تعلم
أنه حرام بعينه فتدعه من قبل نفسك، وذلك مثل الثوب يكون عليك قد اشتريته
وهو
سرقة، أو المملوك عندك، ولعله حر قد باع نفسه أو خُدِعَ فبيع قهراً، أو امرأة
تحتك وهي أختك أو رضيعتك، والأشياء كلها على هذا حتى يستبين لك غـير
ذلك أو تقوم
به البينة).( )
وقد قال جملة من الأصوليين بشمول هاتين الروايتين للشبهتين الحكمية - كما لو
شككنا في أن الرقص حرام أم لا - والموضوعية - كما لو شككنا في أنّ هذا هو
الرقص
المحرّم أم لا -، كما هو صريح عبارة الشيخ الآخوند في الكفاية، حيث قال في
التعقيب على الرواية الثانية: (حيث دل على حلّية ما لم يُعلَم حرمتُه مطلقاً
ولو كان من جهة عدم الدليل على حرمته)( ) .. وقد بنى على ذلك السـيدان
الأستاذ
المحقق الشيرازي والأستاذ العلامة المدرسي حفظهما الله، للعموم الوارد في
الرواية (كل شيء لك حلال).
في حين ذهب بعض إلى القول باقتصارها على خصوص الشـبهة الموضـوعية،
باعتبار أنّ
الرواية الثانية وإن ورد في صدرها عموم، إلاّ أنّ التمثيل الذي ورد فيها قرينة

على إرادة خصوص الشبهة الموضوعية، فالشك في الثوب والعبد والمـرأة شـكٌ
موضوعي لا
حكمي..
ولهذا عقّب الحر العاملي على الرواية الثانية بالقول: (هذا مخصوص بما يشتبه فيه
موضوع الحكم، ومتعلقّة، كما مثلّ في هذا الحديث وغيره، بقرينة الأمثلة وذكر
البيّنة والتصريحات الآتية، لا نفس الحكم الشرعي، كالتحريم).( )
وعلى هذا بنى المحقق النائيني ? حيث قال: (إن دليل أصالة الحل يختص بالشبهات
الموضوعية ولا يعم الشبهات الحكمية).( )
ومع ذلك فإن الإشكال ينتفي بالرجوع إلى أصالة الـبراءة، فحـتى لـو قلنـا
باختصاص
أصالة الحل بالشبهات الموضوعية، فإنّ أصالة البراءة تستوعب سائر الشبهات
الحكمية.. مع ما قد يظهر من فرق نسبي بينهما، باعتبار أنّ أصالة الحل حكم
بالحلّية، بينما أصالة البراءة مجرد براءة ذمّة وترخيص في الفعل والترك، ولا
تثبت حكماً بالحلّية.
فروايات أصالة الحل تثبت الحلية (فهو لك حلال)، (كل شيء حلال)، بينمـا
روايات
أصالة البراءة لا تثبت ذلك، فهي تقول ببراءة الذمة، كما هو ملاحظ في حديث
الرفع.
فقد روى الشيخ الصدوق في التوحيد والخصال عن أحمد بن محمد بن يحيى عـن
سعد بن
عبد الله عن يعقوب بن يزيد عن حمّاد بن عيسى عن حريز عن أبي عبـد الله ?
قال:
قال رسول الله ?: (رفع عن أُمتي تسعة أشياء: الخطأ والنسيان وما أُكرهوا عليه

وما لا يعلمون وما لا يطيقون وما اضطروا إليه والحسد والطيرة والتفكّر في الوسوسة في الخلق).( )

فمن هذا الحديث يتبّين أنّ الإلزام مرفوع عن المكلفين في حال الجهل (وما لا يعلمون)، ولا يتضّمن إثباتاً للحلية، بخلاف روايات أصالة الحل، وفي ذلك قال صاحب تسديد الأصول: (والحديث يدل على أنّ كل مشكوك الحل والحرمـة حلال، والحلال

المذكور فيه هو بعينه الحلال المذكور في سائر الأدلة من الكتاب أو الحديث، فقد يكون حلالاً فعلّياً كما لو شك في خمرية شيء ومائيته، وقد يكون غـير فعلـي كما لو

شك في مأكولية حيوان وعدم مأكوليته، أو في حرمة امرأة عليه أبداً وحلّيتها، ففي جميع الصور يحكم الحديث بأنّ المشكوك حلال).( )

هذا وإن كان يظهر من كلمات بعض المحققين أنّ الأصالتين سواء( ). بل عـدّ بعضهم -

كأستاذنا المحقق الشيرازي - أنّ أصالة الحل من صغريات أصالة البراءة، باعتبار أنّ روايات أصالة الحل لا تثبت الحل الواقعي، وإنما الحل الظاهري فقط، فقولـه ?

: «فهولك حلال» لا يستفاد منه أنّ هذا المشكوك حلال واقعاً، بل غاية ما يفيد أنّ المكلف بسبب جهله بالحكم أو الموضوع بإمكانه أن يتعامل معه كما يتعامل مع

سائر المباحات، أي مرخّص لـه في الفعل والترك، وهو تماماً ما تودي إليه أصالة البراءة .. ويؤيد ذلك القرينة المقالية الملحوظة في الرواية، حيث جاء فيها «هو لك حلال» وليس «هو حلال» ولعل ذلك هو ما رمى إليه المحقق الخراسـاني في الكفاية،

حيث اعتبر روايات أصالة الحل من بين ما استدل به من روايات علـى أصـالة البراءة.

من كل يتبّين أنّ الدين الإسلامي اعتبر الأشياء كلها مباحة، ما عدا القليل جداً مما ثبت استثناؤه بالنص، فالدين أجاز للإنسان استخدام كافة الطرق للتعبير عن سعادته ولإظهار فرحه وسروره، واستثنى طرقاً قليلة جداً ليست في نظره وسائل حقيقية لتحقيق السعادة أيضاً، وإن كان العرف العام يعتبرها وسائل مهمة في هذا السياق.

فأغلب الأشياء مباحة في نظر الدين، وذلك يدلّنا على مستوى التجنّـي الـذي يظهر

على بعض الألسن القائلة إنّ الإسلام والمنتسبين إليه أعداء للفرح، لمّرد أنه حظر على المؤمن بعض الأعمال القليلة التي هي في نظره أيضاً غير مصنفّة ضمن الوسائل الحقيقية لتحقيق السعادة.. بل الإسلام دين تسامحي أراد للإنسان ليس مجّرد الفرح، الذي هو مجرد تعبير عن لذة مؤقتة، وإنما أراد له السعادة بالمستوى الذي سبقت الإشارة إليها.. ولذلك أباح لـه كل ما يمكن أن يسـتفيد منـه للتعبير عن

سعادته، ولم يستثن إلا أُموراً قليلة جداً، سأُشير إلى بعضها على نحو الاختصار.

1 - الغناء

فقد دلّت النصوص الشرعية بشكل صريح جداً لا يدع مجالاً للتوقف أو الالتباس على

حرمة الغناء، ويمكن تقسيم هذه النصوص إلى أربعة أقسام حسب العناوين الـتي أشارت

الروايات المفسرة بما إليه، جرياً على ما اتبعه مجدد علم الأُصول المحقق الأنصاري ?:

الأول: قول الزور.
فقد روى الشيخ الكليني في الصحيح بإسناده عن الحسين بن سعيد ومحمد بـن خالد،
جميعاً عن النضر بن سويد عن درست عن زيد الشّحام، قال: سألت أبا عبد الله ? عن
قولـه عز وجل: ? وَاجْتَنِبُوا قَوْلَ الزورِ ? قال: «قول الزور: الغناء».( )

الثاني: لهو الحديث.
حيث روى الشيخ الكليني في الصحيح عن علي بن إبراهيم، عن أبيه، عن ابن أبي عمير،
عن علي بن إسماعيل، عن ابن مسكان، عن محمد بن مسلم، عن أبي جعفر? قال: سمعته
يقول: الغناء مما وعد الله عليه النار، وتلا هذه الآية: ? وَمِنَ الناسِ مَن
َيشْتَرِي لَهْوَ الْحَدِيثِ لِيُضِل عَن سَبِيلِ الله بِغَيْرِ عِلْمٍ
وَيَتخِذَهَا هُزُوًا أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مهينٌ ?.( )
الثالث: الزور.
وفي ذلك روى الكليني عن علي بن إبراهيم عن أبيه، عن ابن أبي عمير، عـن أبي أيوب،
عن محمد بن مسلم وأبي الصباح الكناني، عن أبي عبد الله ? في قـول الله عـز وجل: ?
وَالذِينَ لا َيشْهَدُونَ الزورَ ? قال: الغناء.( )

الرابع: اللهو واللعب والباطل.
ففي الكافي أيضاً في الموثق عن محمد بن يعقوب، عن محمد بن يحيى، عن أحمد بن محمد، عن ابن فضّال، عن يونس بن يعقوب، عن عبد الأعلى قال: سألت أبـا عبد الله ?
عن الغناء وقلت: إنم يزعمون إنّ رسول الله ? رخّص في أن يقـال: جئنـاكم جئناكم
حيونا حيونا نحيكم، فقال: كذبوا، إنّ الله عز وجل يقول: ? وَمَا خَلَقْنَا السمَاء وَالأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لاعِبِينَ ? لَوْ أَرَدْنَا أَن
نتخِذَ لَهْوًا لاتخَذْنَاهُ مِن لدُنا إِن كُنا فَاعِلِينَ ? بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَق عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ
وَلَكُمُ الْوَيْلُ مِما تَصِفُونَ ?، ثم قال: «ويل لفلان مما يصف» رجل لم يحضر الـلس.( )
فهذه عناوين أربعة نطقت بـا الآيات المباركة، وفسّرتا الروايات بالغناء.
وقد أشكل بعض في دلالتها على الغناء المتداول، باعتبار أنّ الغناء كيفية للقول كما يظهر من كلام اللغويين، وليس قولاً، والمحرّم إنما هو القول «قول الزور».
ثم إنّ الزور هو الكذب، والمحرّم بذلك قول الكذب، واعتبار الغناء من مصاديقه أنما يتأتى بناء على الاستخدام الـازي، لكن لا بد أن تكون هناك جهة تناسـب بين
الحقيقة والـاز، حتى يمكن ادعاء الـازية، ولا جهة تناسب بينهما؛ لأنّ أحدهما قول والثاني وهو الغناء كيفية للقول.
لكن أُورد على هذا الإشكال - كما ظهر من كلام الأُستاذ آيـة الله العظمـى الفاضل

اللنكراني في مجلس الدرس - بأنّ النصوص المحرّمة للغناء ليســت منحصــرة في الرواية
المتعلقّة بقول الزور، وإنما هناك طوائف ثلاث أُخرى من الروايات أُكدَ فيها على الحرمة.
وأما جهة التناسب فليس من الضرورة أن نلتفت نحن إليها، بل يكفي تشــخيص الإمام ?
لها، وهذا ما حدا به ? لاعتبار الغناء مصداقاً من مصاديق قول الزور.
ثم نحن يكفينا ثبوت الحجة في مقام الاستدلال، وقوم الامام ? حجــة شــرعية كافية،
وإن لم ندرك مغازيه وأبعاده.
وبناء على ذلك فإنّ الروايات واضحة في الدلالة على حرمة الغناء، نعم تباين
المباني في تحديد الغناء المحّرم المشار إليه في هذه النصوص.
فقد ذهب المشهور إلى أنّ الغناء المحّرم هو مدّ الصوت المشتمل على الترجيح
المطرب( )، والطرب: خفة تعتري الإنسان لشدة حزن أو سرور.( )
لكن أشكل بعض على ذلك بأن الغناء المحّرم ما أطلق عليه في لسان العرف غناءً،
بناء على عدم اتحاد تعاريف اللغويين، حيث عرّفه بعض بالصوت( )، وآخر بمد الصوت(
) وثالث بتحسين القراءة وترقيقها( )، ورابع بما عرّفه المشهور أعلاه، وفي
الحقيقة كل هذه التعاريف تشير إلى شيء واحد، وهو المعدود عند العرف غناءً، وما
جاء في الروايات ناظر لما هو راكز في أذهان أبناء العرف العام .. ويبدو أنّ هذا
هو ما ينتهي إليه المشهور.

وذهب بعض آخر - كما هو صريح ما انتهى إليه الشيخ الأنصـاري - إلى أنّ الغناء
المحّرم هو الصوت المرجع على سبيل اللهو (فكل صوت يكون لهواً بكيفيته ومعدوداً من ألحان أهل الفسوق والمعاصي فهو حرام، وإن فرض أنه ليس بغناء، وكل
مالا يُعَد لهواً فليس بحرام، وإن فرض صدق الغناء عليه فرضاً غير محقق، لعدم الدليل على حرمة الغناء إلاّ من حيث كونه باطلاً ولهواً ولغواً وزوراً).( )

ويقرب من هذا المبنى ما ذهب إليه الإمام الخميني ? وآية الله العظمى اللنكراني وآية الله العظمى السيستاني، حيث اعتبروا الغناء المحرم خصوص ما تناسب مع مجالس اللهو والباطل.

والنتيجة فإنّ على المكلف أن يستوضح مبنى الفقيه الذي يعود إليه في الفتـوى، حتى
يعمل بتكليفه الخاص.

بقي شيء هنا، وهو أنّ المشهور من الفقهاء استثنوا من حرمة الغناء عدة أفراد، أهمهما الغناء في الأعراس النسائية، فقالوا بأن الغناء في هذه الأعراس جائز مع أنه غناء، ولكن بشروط أربعة:

1 - أن لا يدخل على المغنية رجال أثناء تأديتها لعملها الغنائي.

2 - أن لا يستخدم في الغناء أدوات اللهو، باستثناء الدف، وأضـاف بعـض الطبل..
باعتبار أنّ المستثنى في الرواية خصوص الغناء، فتبقى أدوات اللهو على حرمتها للعموم المتعلق با، وإنما خرج منها الدف للنص، والطبل لوحدة المناط فيه مع الدف.

3 - التكلم بالحق وعدم التلفظ بالأباطيل.

4 - أن يكون الغناء في ليلة الزفاف، تقيّداً بما ورد في النص، وقد قيّده بعض بحالة الزّفّة - حين تُزَف المرأة من بيت والدها إلى بيت زوجها استظهاراً من إحدى الروايات -، في حين وسّعه بعض آخر، كسيد مشـائخنا الشـيرازي ? بحيث يشمل
ليلة الزفة وليلة قبلها مثلاً بالمستوى الذي يحدّده العرف.
وقد دلت على هذا الاستثناء ثلاث روايات وردت عن أبي بصير عن الصادق ?، اعتبرها
البعض رواية واحدة، كآية الله العظمى اللنكراني، باعتبارها تنتهي إلى راوٍ واحد ومعبّرة عن حادثة واحدة، والاختلاف الناشئ في المتن راجع إلى اختلاف النقـل من
قبل الرواة.
فقد روى الكليني عن العدة، عن أحمد بن محمد، عن الحسين بن سعيد، عن علي بن أبي
حمزة، عن أبي بصير قال: سألت أبا عبد الله ? عن كسب المغنيات؟ فقال: «التي يدخل
عليها الرجال حرام، والتي تدعى إلى الأعراس ليس به بأس».( )
كما روى عن العدة عن أحمد، عن حكم الخيّاط، عن أبي بصير، عن أبي عبد الله ?
قال: المغنية التي تزف العرائس لا بأس بكسبها.( )
وعن العدة أيضاً عن أحمد بن الحسين، عن النضر بن سويد، عن يحيى الحلبي، عن أيوب
بن الحر، عن أبي بصير قال: قال أبو عبد الله ?: «أجر المغنية التي تزف العرائس ليس به بأس، وليست بالتي يدخل عليها الرجال».( )

والروايات تامة الدلالة في الاستثناء، وما قد يقال من ضعف سندها كما ادعاه
الشيخ الأعظم الأنصاري( ) بسبب التردد في أبي بصير بين الشقة والضعيف، في غير
محله؛ لأنّ أبا بصير إذا أطلق ينصرف إلى خصوص الثقة ليـث بـن البختـري المرادي،
مع العلم أنّ التردد حقيقة إنما هو بين المرادي ويحيى بن القاسم، وكلاهما ثقة.

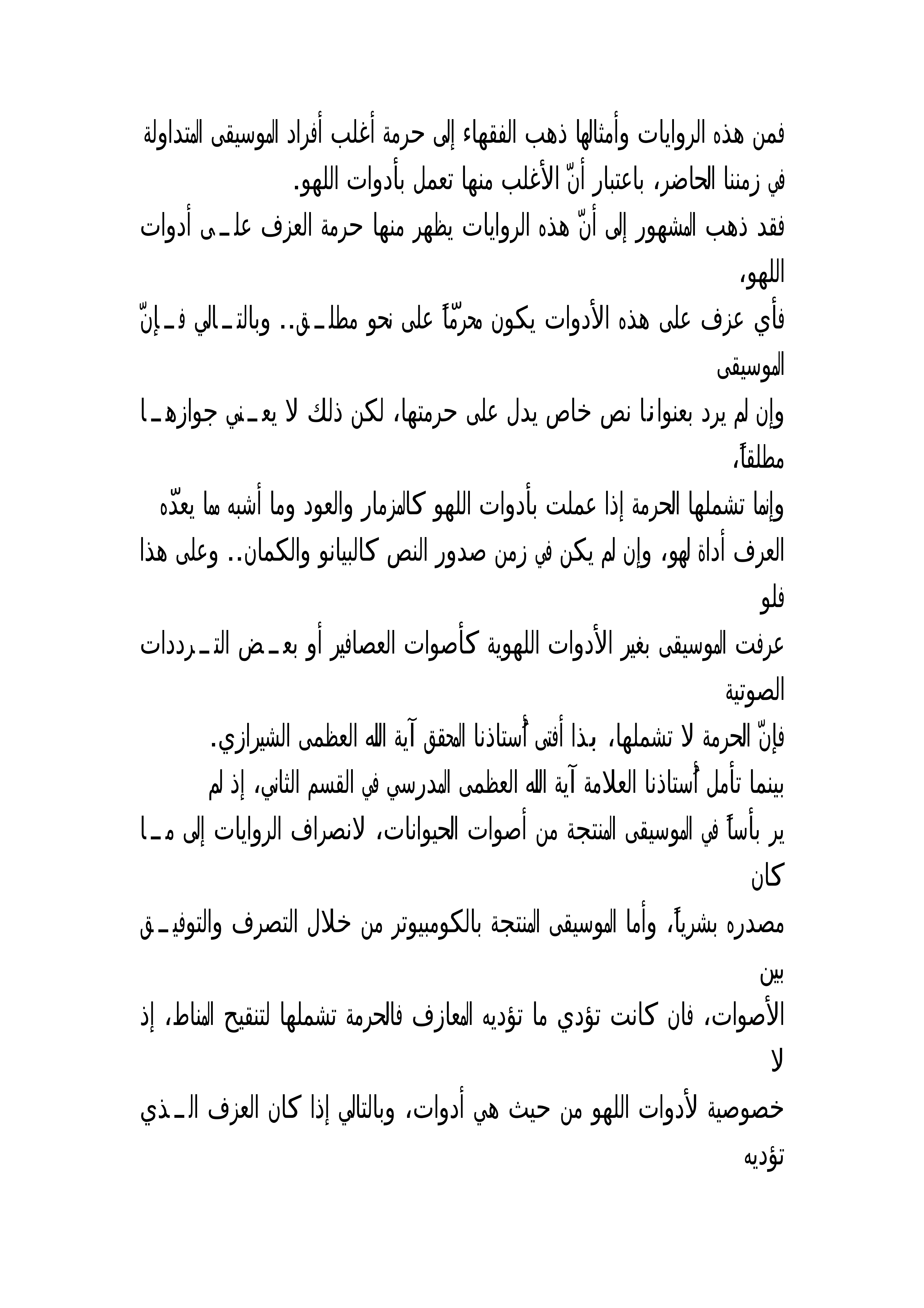
2 - اللهو

لقد أجاز الدين للإنسان الاستفادة من سائر الوسائل للتعبير عن سعادته، لكن بالشكل الذي يدعّم عنده السكينة والاطمئنان، باعتبار أنّ عمق السعادة يكمن فيهما، لا بالشكل الذي لا يتجاوز التعبير عن حركات وتصرفات عبثية.

والآية المباركة في سورة الأنبياء إشارة صريحة لذلك، فقد قال تعالى:
? وَمَا خَلَقْنَا السمَاء وَالأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لاعِبِينَ ? لَوْ
أَرَدْنَا أَن نتخِذَ لَهْوًا لاتخَذْنَاهُ مِن لدُنا إِن كُنا
فَاعِلِينَ ?.( )

فالدين وإن صرّح للإنسان بجواز إسعاد نفسه والتعبير عن فرحه بما يشـاء مـن الطرق
والوسائل، لكن بحيث لا يتجاوز المباحات - وما أكثرها - اما اللهو العبثـي فقد
نهى عنه. وهذه الآية تشكل الإطار العام لهذا النهي، ولذلك تسالم الفقهاء على القول بحرمة اللهو، بل عدّه آية الله العظمى الخوئي ? من الضروريات حيث قال (لا
خلاف بين المسلمين قاطبة في حرمة اللهو في الجملة، بل هي مـن ضـروريات الإسلام).(

)
لكن الكلام وقع في تحديد المقصود من اللهو المحّرم، إذ ليس كل لعـب حـرام، كالعبث
باللحية وما أشبه، وإلاّ لقيل بحرمة الكثير من تصرفات الإنسان، حيث تصدر منه في
كل حين الكثير من التصرفات التي لا ترجع لغرض عقلائي، وقد قامت السـيرة المتصلة
قطعاً بالمعصوم ? على عدم حرمتها.
لذلك لا يمكن القول بحرمة مطلق اللهو، وما يمكن إثبات حرمته من أفراد اللهو
خصوص ما صّرحتْ به النصوص الخاصة أو العامة.. وبناء على ذلك فإنّ مـن التطبيقات
المحرمة لهذا العنوان ما يلي:
1 - العزف على أدوات اللهو.
فقد دلّت الروايات المعتبرة على حرمته..
منها ما رواه الصدوق في الخصال بإسناده عن الأعمش، عن جعفر بـن محمـد الصادق ? في
حديث شرائع الدين الذي عدّد فيه الإمام ? الكبائر واعتبر اللعب بالملاهي منها،
قال ?: والملاهي التي تصد عن ذكر الله عز وجل مكروهة كالغنـاء وضـرب الأوتار.(
)
ومنها ما رواه الصدوق أيضاً في العيون بإسناده عن الفضل بن شاذان عن الرضا? في
كتابه إلى المأمون، حيث عدّد الكبائر وكان منها: (الاشتغال بالملاهي).( )



فمن هذه الروايات وأمثالها ذهب الفقهاء إلى حرمة أغلب أفراد الموسيقى المتداولة
في زمننا الحاضر، باعتبار أنّ الأغلب منها تعمل بأدوات اللهو.
فقد ذهب المشهور إلى أنّ هذه الروايات يظهر منها حرمة العزف علـى أدوات
اللهو،
فأي عزف على هذه الأدوات يكون محرّماً على نحو مطلـق.. وبالتـالي فـإنّ
الموسيقى
وإن لم يرد بعنوانها نص خاص يدل على حرمتها، لكن ذلك لا يعـني جوازهـا
مطلقاً،
وإنما تشملها الحرمة إذا عملت بأدوات اللهو كالمزمار والعود وما أشبه مما يعدّه
العرف أداة لهو، وإن لم يكن في زمن صدور النص كالبيانو والكمان.. وعلى هذا
فلو
عرفت الموسيقى بغير الأدوات اللهوية كأصوات العصافير أو بعـض التـرددات
الصوتية
فإنّ الحرمة لا تشملها، بهذا أفتى أُستاذنا المحقق آية الله العظمى الشيرازي.
بينما تأمل أُستاذنا العلامة آية الله العظمى المدرسي في القسم الثاني، إذ لم
ير بأساً في الموسيقى المنتجة من أصوات الحيوانات، لانصراف الروايات إلى مـا
كان
مصدره بشرياً، وأما الموسيقى المنتجة بالكومبيوتر من خلال التصرف والتوفيـق
بين
الأصوات، فان كانت تؤدي ما تؤديه المعازف فالحرمة تشملها لتنقيح المناط، إذ
لا
خصوصية لأدوات اللهو من حيث هي أدوات، وبالتالي إذا كان العزف الـذي
تؤديه

المعازف - الأدوات - اللهوية المشهورة، هو ما يؤديه العزف المنتج بواسطة الكومبيوتر، يصبح الثاني حراماً كالاول.

لكن نقل عن الإمام الخميني ? وآية الله العظمى السيستاني غير ذلك، فقد فهمـا من

الروايات أنّ الحرمة غير منصرفة لمطلق اللعب بالأدوات اللهوية، وإنما خصوص ما كان تعبيراً عن حالة لهوية تتناسب مع مجالس اللهو والباطل، وبالتالي فلا موضوعية لأداة اللهو حتى يقال بحرمتها مطلقاً، بل الحرمة خاصة بالموسيقى المتناسبة مع مجالس البطالين.

2 - مصاديق أخرى للعنوان المحّرم .

إنّ جملة من الفقهاء حصروا اللهو المحّرم في الاشتغال بالملاهي والمعازف فقط؛

لعدم ورود دليل يصرّح بغيرها، كما هو صريح عبارة آية الله العظمى الخوئي ? حيث

قال: (إنّ هذه الروايات إنما تدل على حرمة قسم خاص من اللهو، أعني الاشتغال بالملاهي والمعازف واستعمالها).( )

لكن بنى آخرون على أنّ اللهو عنوان أعم من الاشتغال بأدوات اللهو، ولذا يمكن أن

ينطبق على مصاديق أُخرى، وذكروا من جملتها الرقص، فالرقص وإن لم ترد في حرمته

سوى رواية ضعيفة في غوالي اللئالي( )، إلاّ أنهم قالوا بحرمته في حال انطباق عنوان اللهو المحرم عليه، وأيدوا كلامهم باستثناء بعض الفقهاء لرقص كل من الزوجين للآخر..

بذا قال سيد مشائخنا آية الله العظمى الشيرازي ?، وهذا نص عبارته في الفقه:

(نعم لو انطبق عليه عنوان محرم آخر كاللهو المحرم ونحوه حرم)( )، ونص علـى
ذلك
أيضاً الشيخ المحسني في حدود الشريعة.( )
وأما الأُستاذ المدرسي (حفظه الله) فلم يعتبر اللهو عنواناً ثانوياً يمكن أن
ينطبق على الرقص فيضفي عليه الحرمة، إذ ليس كل لهو حراماً، وإنما الحرام منـه
ما
نص عليه، كالغناء وأدوات اللهو والقمار والصيد اللهوي إن قلنا بحرمتـه ومـا
أشبه،
والرقص ليس مما نص عليه، ولذلك يمكن القول بحليته بالعنوان الأوّلي، واللـهو
ليس
عنواناً ثانوياً ينقله إلى الحرمة، نعم لو انطبق عليه فعلاً عنوان آخر محرم
يكون محرماً، كما لو أثار الشهوة الجنسية حتى لو كان بين النسـاء أنفسـهنّ،
وكمال
لو رقصت المرأة أمام الرجال.
وقد تنظر الأُستاذ الشيرازي (حفظه الله) في كل ذلك وبنى على حرمة الرقص
بالعنوان الأوّلي، استناداً إلى رواية معتبرة على مبناه رواها الكليني عن علي
بن إبراهيم عن أبيه عن النوفلي، عن السكوني، عن أبي عبد الله ? قـال: قـال
رسول
الله ?: «أنهاكم عن الزفن والمزمار...».( )
والزفن كما في لسان العرب: الرقص.( )
أما التصفيق والصفير فلم يرد نص بحرمته، ويصعب تطبيق عنوان اللـهو المحـرم
عليه،
مع أنّ هناك من قال بحرمته إذا كان بداع شهواني صرف.( )

3 - اللعب بالآلات القمارية

كما في اللهو تماماً، فإنّ الآيات المباركة التي وسعت للإنسان طرق السعادة، في نفس الوقت نته عن بعض الأعمال العبثية التي قد يتوهم أنّ لها منفعة وجدوائية، والقمار وما يرتبط به من تلك الأعمال المنهي عنها..

قال تعالى:

?يَا أَيهَا الذِينَ آمَنُواْ إِنمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ

وَالأَنصَابُ وَالأَزْلاَمُ رِجْسٌ منْ عَمَلِ الشيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ

لَعَلكُمْ تُفْلِحُونَ ?( ).

فالإنسان قد يتوهم بجدوائية هذه الأعمال التي ذكرتا الآية، ومنها الميسر وهو القمار، إلاّ أنّ الآية تنبهه إلى خطأ هذا التوهم، فالقمار ليس فقط لا يؤدي إلى السعادة، وإنما السعادة لا تتحصل إلاّ باجتنابه ? فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلكُمْ

تُفْلِحُونَ ?.

فاللعب بالالآت القمارية مستثنى من أصالة الإباحة، وقد دلت علـى حرمتـه

بالإضافة

إلى الآية المذكورة عدة روايات، منها ما رواه الكليني عن العدة عن احمـد بـن

محمد

بن علي بن الحكم، عن سيف بن عميرة، عن زياد بن عيسى قال: سألت أبا عبد

الله ?

عن قوله عز وجل: ? وَلاَ تَأْكُلُواْ أَمْوَالَكُم بَيْنَكُم بِالْبَاطِلِ ?( )

فقال: «كانت قريش تقامر الرجل بأهله وماله، فنهاهم الله عـز وجـل عـن

ذلك».( )

كما روى عن محمد بن يحيى، عن محمد بن الحسين، عن صفوان

عن العلاء، عن محمد بن مسلم، عن أحدهما ? قال: «لا تصـلح المقـامرة ولا النهبة».(
)
لكن ماذا يستفاد من هذه الروايات؟
1 - حرمة اللعب بآلات القمار مع الرهن.. فهذا المورد من الموارد المجمع عليها عند فقهائنا قديماً وحديثاً.
2 - لكن هل يحرم اللعب بها من دون رهن؟
يمكن النظر في هذا الأمر من جهتين:
الجهة الأولى: هناك بعض الآلات القمارية منصوصة، كالشطرنج والنرد والأربعة عشر.. وقد ذهب المشهور إلى حرمة اللعب بها مطلقاً برهن وبدونـه، وذلـك لإطلاق
الروايات الناصة عليها.
فقد روى الكليني في موثقة الشحّام، قال: سألت أبا عبد الله ? عن قول الله عزوجل: ? فَاجْتَنِبُوا الرجْسَ مِنَ الأَوْثَانِ وَاجْتَنِبُوا قَوْلَ الزورِ ?( )، قال: «الرجس من الأوثان: الشطرنج وقول الزور: الغناء».( )
وروى عن علي بن إبراهيم عن أبيه عن النوفلي عن السكوني عن أبي عبد الله ? قال:
نهى رسول الله ? عن اللعب بالشطرنج والنرد.( )
وقد يرد إشكال على ذلك بأنّ الروايات يظهر منها اعتبار الشطرنج والنرد مجرد مصاديق للقمار، وبالتالي إنما يكون محرمة إذا لعب بها للقمار، لكنه يجاب بأنّ الجميع - الشطرنج والنرد والقمار أيضاً - مصاديق للميسـر، لا أنّ الأولـين مصاديق
للثالث فالميسر أعم من القمار، فالقمار ميسر وهو حرام، والشطرنج والنرد أيضاً

ميسر وهي محرمة، وإن لم ينطبق عليها عنوان القمارية، وذلك لدلالة مثل ما رواه علي بن إبراهيم في التفسير عن أبي الجارود عن أبي جعفر? قال: «وأما الميسر: فالنرد والشطرنج، وكل قمار ميسر».( )

وقد نقل عن الإمام الخميني ? القول بأنّ هذه الآلات المنصوصة مجرد مصاديق للقمار، ولذلك بنى على جواز اللعب بها من دون رهن، كما لو كـان لـمـجرّد التسلية.

الجهة الثانية: إذا لم تكن الآلات والألعاب منصوصة، كالورق وغيره، مما عده العرف آلة أو لعبة قمارية في الغالب، كأن يكون صنع للقمار أو تحول إلى آلة قمارية.. وفي ذلك أيضاً قال المشهور بالحرمة للعموم الوارد في رواية تحف العقول، حيث ورد فيها: «وأما وجوه الحرام من البيع والشراء: فكل أمر يكون فيه الفساد مما هو منهي عنه من جهة أكله وشربه أو كسبه أو نكاحه أو ملكـه أو إمساكه أو هبته أو عاريته أو شيء يكون فيه وجه من وجوه الفساد، نظير البيع بالربا أو بيع الميتة أو الدم أو لحم الخنزير أو لحوم السباع من صنوف سباع الـوحش أو الطير أو جلودها أو الخمر أو شيء من وجوه النجس، فهذا كله حرام محرم؛ لأنّ ذلك كله منهي عن أكله وشربه ولبسه وملكه وإمساكه والتقلب فيه، فجميع تقلبه في ذلك حرام».( )

وما نقل عن الإمام الخميني ? في الجهة الأولى نقل عنه هنـا أيضـاً، لـدعوى انصراف الأدلة إلى خصوص اللعب مع الرهن حتى وإن كانت الآلة قمارية عرفاً.

من جميع ما سبق الحديث عنه، ننتهي إلى أنّ جواز الاستفادة من سائر الأعمال والوسائل لغرض الترويح عن النفس، المبني على أصالة الإباحة، لم يستثن منه إلاّ الشيء القليل، مما لم ينظر إليه الدين على أنه وسيلة إسعاد حقيقية، بل قد يكون وسيلة شقاء وإن توهم البعض خلاف ذلك، وكان من أهم المستثنيات: الغنـاء واللهو

والميسر.

وأضيف في الختام أنّ الاستفادة من المباحات وإن كان جائزاً لكن ينبغي أن لا يتعنون بعنوان ثانوي محرم، كالانشغال عن ذكر الله عزوجل وتضييع الفـرائض، أو أذى

الغير، أو اختلاط الرجال بالنساء وما أشبه.

أخيراً إذا أردنا أن نفرح، فلنفرح كيف نشاء، لكن ينبغي أن نراعي حدود الله سبحانه وتعالى .. ثم لنعلم أنّ السعادة الحقيقية ليست فيما حرمه الله عزوجل، وإنّما في الإيمان والهدى، فلنبحث عنها في مظانها .

والحمد لله رب العالمين، وصلّى الله على نبينا محمد وآله الطاهرين.

فهرست الموضوعات :